

١٤٤٤
١٤٤٤

بعض ما لم ينشر من :

مذكرات

قلبي في مصر

على هامش التاريخ المصري الحديث

بعض حوادث الماضي

اقتراحات لمصلحة الوطن



mohamed khatab



جلالة مولانا الملك فؤاد الاول ملك مصر

أهداء

مرفوع بيد الأكابر والاجلال
الى عتبات حضرة صاحب الجلالة ~~وولاه~~ ~~عليه السلام~~

فؤاد الاول

ادام الله تأييده وأعز نصره ~~وأنقر~~ غيبه وعيني ~~بجده~~
برعاية خاصة لسمو ولي عهده وسائر ابحاله ~~الفحام~~

لي الشرف الاسمى ، بان ارفع الى مقامكم الاسنى ، بعض الذكريات
التي دونت فيها ما شهدته او سمعته او كانت لى به صلة من الحوادث والوقائع
التي جرت فى عهد والدكم العظيم ومن اعقبوه من الخديويين الذين تداولوا
امر مصر قبل تبوء جلالتم عرش آبائكم الاكرمين ، واجداكم الامثلين
على ان لي ذكريات اخر ، كلها كبير الشأن ، جدير بالاذاعة المقرونة
بالاكبار ، وان هي الا تريد المآثر الموطدة والمفاخر المخلدة التي ملائم
بها سمع العصر وبصره ، ونقلتم بها مصر من امارة تحت سيادة ، الى
مملكة حرة ذات سيادة ، خفقت اعلام ممثليها في حواضر جميع البلدان
الراقية وذاعت محامدها ومناقبها تحت كل كوكب ، وانتسح لها مكان بين
الممالك الكبيرة في الخافقين

وقبل ان اشرع فى تدوين تلك المآثر والمفاخر فى كتاب على حدة ،
قد اوجب عليّ الولاء والاخلاص الا اخرج هذا الكتاب الا ومفرقه

متوج برسم جلالكم ، وصدره مزدان باسمكم الذي سيبقى بين اسماء اعظم
رجال التاريخ ، مادام تداول سير المصلحين ، في العالمين

واني لأستميح جلالكم عذراً في ان اذكر بالايجاز اظهر ما لجلالتكم
من الاعمال الكبرى التي اعليتم بها شأن ملككم وطوقتم جيد امتكم
المخلصة ، وان كلا من تلك المفاخر لتتطرق من مجرد ذكرها ببيان ما دق
وجل من معانيها ، وبال دلالة على ما قرب وبعد من مراميها

وهل في صحف المجد مما يؤثر عن اعظم الملوك مثل ما انحصه في
هذه الصحيفة من كل مأثور عن جلالكم
ففي عهدكم الميمون

خرجت مصر من التبعية التركية واصبحت مملكة مستقلة ، عزيزة الجانب ،
ذات نظام مقرر لعرشها ووراثته وترتيباته كأحسن ما يرى من مثلها
في انظمة الممالك الكبرى
وفي عهدكم الميمون

وضع الدستور وانشيء البرلمان
انشيء التمثيل السياسي لدى دول الغرب والشرق
اشتركت مصر في اهم المؤتمرات العامة التي عقدت في البلدان الاخرى
وعقدت ثلاث مؤتمرات عامة في مصر عدا ما تقرر عقده منها في بعض
السنوات التالية ، ولبت الدول دعوتها اليه

تسنى لمصر ان تنفخر بزياراتكم لاوروبا حيث قابل جلالكم ملوكها
وامراؤها ورجال السياسة واساطين العلم والادب والفنون فضلاً عن

الجاهير في كل بلد باعظم حفاوة رجعت عائدتها بكرامة غير مسبوقه على بلادكم ، وزاركم غير واحد من الملوك والامراء الغربيين والشرقيين فلقوا من عنايتكم وتبينوا من عظم ملككم ماجاوز ظنهم وفي عهدكم الميمون

ضوعفت العناية بالصحة العامة اصعافاً ، وانشأت لها المنشآت الجمه ، وبذلت فيها لمكافحة الامراض ، مجهودات عظيمة

اقر العدل في نصابه احسن اقرار بمنوف العناية التي وجهت الى المحاكم ، وتوسيع نطاق الاستئناف العالي فيها ، ووحدت وجهة القانون بانشاء محكمة النقض والابرار العليا

سيرت الشؤون الاقتصادية تسييراً محكماً ، وكان ماأتت به الحكومة بعناية وزيركم الاكبر عملاً باوامركم الصائبة في تدارك علل الازمة العالمية التي اصاب مصر منها أثر شديد الخطر ، ما اصلح المعتل من الامور جهد المستطاع ، وامن الملاك على املاكهم ، بعد ان تعرضت للضياع بالبيع الجبرى كما ان المزارعين الذين عجزوا عن زراعة اطيانهم بسبب الضيق المالى قد مدهم بنك التسليف الزراعي بالمال والسداد والتقاي مما كانت له نتيجة حسنه في تخضير جميع اطيانهم فدرأ الخطر الشديد ، وثبت حسن السمعة المالية للبلاد ، واكد الثقة العالمية بها

كثرت شعب المواصلات وفروعها في السكك الحديدية والسيارات بما زاد سهوله الانتقال في كل مكان في المملكة ، ورقيت نظم التليفون والتغراف السلكي واللاسلكي على احدث ما ترى تلك النظم في انمالك الراقية

ادخلت تحسينات جمة لا تقوم بأمان على اعمال الري والصرف
وأجدرها بالذكر اقامة قناطر نجع حمادي وتعلية خزان اسوان ، ومازالت
تلك الاعمال الحيوية تتوالى بما يدر الخير الوفير على البلاد وسكانها
حسنت شؤون الزراعة تحسیناً في كل الفروع العامة والعملية ووسع
نطاق التعاون وشرع في تنويع المحصولات شروعاً موفقاً وفتحت اسواق
جديدة لغلات المملكة

تقدمت الصناعة تقدماً محسوساً في مختلف ضروبها وسارت شوطاً
بعيداً في سبيل التكامل مما يبشر بخير وفير عاجل

خصت المعارف بالنصيب الاوفر من عناية جلالتهكم، ولا عجب
فمن اكبر النعم على الامم ان يقوم على رأسها ملك متنور حكيم — فهذه
الجامعة المصرية التي لجلالتهكم فضل تأسيسها ومدارجتها في تقدمها قد
ارتقت الى مستوى المعاهد الكبرى من نوعها ، وهذه الجامعة الازهرية
وما يتصل بها من المعاهد الدينية قد احدث لها نظام كفيل بان تستمر لها
اوليتها بين الجامعات الشرقية الدينية والتفوق المطرد عليها ، ونمت معاهد
الفنون الجميلة تلقيناً وتطبيقاً

وهذه مدارس الحكومة قد ازداد عددها من ٤٥٣٦ حين تبوأتم
العرش الى ٥٨٠٧٠ وزاد عدد تلامذتها من ٣٢٢٦٢٥ الى ٦٩٧٦١٤ عدا
تلاميذ المدارس الاخرى مما يبلغ مجموع طلاب العلم اليوم نحو المليون
وفي عهدكم الميمون

نمت الجمعية الجغرافية وجمعية الاحياء المائية وجمعية الاقتصاد السياسي

والاحصاء والتشريع نمواً كبيراً بعطفكم المتوالى على كل منها
ونمت الجمعيات الخيرية المتعددة واخصها جمعية الاسعاف التي تكاملت
في هيئتها المركزية ، وتكاثرت فروعها في القطر واحكم ارتباطها بها عملاً
بنصحكم الكريم

وفي عهدكم الميمون

كثر توافد السياح على البلاد لتوافر الاستكشافات الاثرية العظيمة
وللتحسين الشائق في المدن ، وتعميم الماء الصافي والانارة والحدائق فيها
ولاطمئنان القلوب وانسراح الصدور في كل مكان يطلب فيه الغريب
نزهة أو شفاء أو معرفة جديدة

وكذلك أغدقت الاعانات على المجددات في ضروب الرياضة البدنية
التي احرزت بها مصر سمعة عالية ، وجددت لها بها شبيبة سليمة الابدان
ذكية العقول

أما الانعامات التي اسبغتموها على أعمال البر بأنواعها ومنها شد ازر
الآداب والفنون فحسبى ان اذكر منها امرين .

احدهما ان ما انفقتموه جلالتم من جيبكم الخالص قد اناف حتى الآن
على مائتي الف جنيه . وقاما سمع بمثل هذا في سخاء الملوك

وثانيهما ان سراة القطر وأعيانه قد اقتدوا بقدوتكم الشريفة فساروا
في أعمال البر التي لم يعهدوا القطر في غير زمانكم . وقد اصبحت لا تعد
وإذا جاز لصاحب هذه الذكريات ان يشير الى ما كان في نفسه من الاثر
المبارك في التأسي بأسوتكم العظيمة فهو يجرؤ ان يذكر هبته لمجلس مديرية المنيا

وهي ارض بنيت عليها اربع مدارس احدها هن شرفت وتوجت باسم سمو الاميرة
فائزة كريمة جلالتم ، وقد قدر المجلس قيمة تلك الهبة بعشرين الف جنيه
وكذلك قد خص خادمكم المتواضع داريه المشيدتين في مغاغة وفي حلوان :
الاولى برعاية الطفل والولادة مرصداً عليها ٧٥ فدانا من اجود اطيانه
والثانية بتعليم البنات مرصداً عليها ٦٠ فدانا — وانما عرضت لعملي بهذه
الكلمات لعملي انه يحوز جانب رضاكم الاسنى لفرط كلفكم بكل امر
تتكامل به الرفاهة والسعادة ببلادكم

ولو اردت ان استوفى مع نهاية الايجاز بيان ما اثر جلالتم لابت
الحصر فكيف بها في مثل هذا النطاق الضيق ؟

فأرجو يا مولاي ان يقع هذا الاهداء من عالي نظركم موقع القبول
الحسن وان تجدوا فيه آية جديدة من آيات الولاء الصادق والوفاء الدائم
الذين وقفت نفسي عليهما لذاتكم الكريمة في عهد البرنس احمد فؤاد
واستمر انموان ويزدادان في عهد جلالة الملك فؤاد

من العبد الخاضع المتواضع

قلبنى فهمى



مؤقلىنى فرمى باشام

مذكرات

قلبي فهمي باشا

بيان لا بد منه

هذه ذكريات تنأثرت في احاديث سمعها مني فريق من الاصفياء
الاوفياء فرغبوا الي في تدوينها فلم يسعني الا اجابتهم . ورغبة الاحباء
امر مطاع

دوتتها من حاضر الذهن ، لم الجأفيها الى مطالعة او مراجعة ، وسقتها
سوق الحديث يتصل احياناً ، وينفصل احياناً ، ليتفكه بها الواقف عليها
ويستجلي من اثنائها بعض الحقائق التي لم تجلها الي الآن مباحث المؤرخين
لقرب العهد بها

واكثر ماورد فيها مما شهدته أو سمعته او كان لي به شأن ، ولعل
هذه الذكريات بما تخيرته لها من الاسلوب السهل النزيه ، القريب التناول ،
تقع من نفوس قرائها مثل موقعها من نفوس سامعيها
والله يتولاني واباهم بجليل عونه وجميل عنايته

قلبي فهمي

في عهد ساكن الجنان سمو الخديوي اسماعيل نميد

كانت مصر قبل ان يتولاها الخديوي اسماعيل معدودة ولاية تركيه وكان من يتولاها من الحكام يلقب بلقب «الوالي» ، تستمد سلطتها وأوامرها من السلطنة العثمانية ، فكانت العملة تضرب باسم السلطان ، والرقب والنياشين تعطى بفرامانات سلطانية وكان غير مباح لمصر ان تعمل سلفاً خاصة بها ، ولا تعقد معاهدات من نفسها مع دول اخرى ، وكان قاضي قضاة مصر — اعني رئيس المحكمة الشرعية العليا — يتعين من الاستانة بفرمان سلطاني فاهتم سمو الخديوي اسماعيل ، وكان أكثر الخديويين نشاطاً ، وجباً للظهور ، حتى تحصل على جملة امتيازات أوجدت مصر في شبه مستقلة ولم يكن للدولة العلية سلطة عليها في امر سوى دفع خراج - (جزية) - لها معين سنوى في نظير ذلك ، كما انه تحصل على استبدال لقب «والي» بلقب «خديوي»^(١) فجعل همه تنظيم حالة البلاد ورقبها فانشأ السكك الحديدية .

(١) ولما كان اللقب المعروف لحكام مصر هو لقب والي مصر وظل هذا اللقب معروفاً الى عهد الخديوي اسماعيل - فاسماعيل الذي كانت مطامعه كبيرة جداً ، اراد ان ينال لقباً عالياً عن تلك الالقاب يشعر بفتضاه أنه ملك مستقل في بلاده ، حر في أعماله ، فسمى الى ان نال لقب خديوي ، الذي خوله عمل معاهدات مع الدول الاجنبية ، وسك نقود ، وسن قوانين لمصالح ادارية ونحو ذلك من جميع الاعمال الداخلية التي كانت محرمة على سلفائه ، كما انه سعى لدى السلطنة مسعياً مقروناً بالنجاح لحصوله على حصر الوراثة في ذريته بعد ان كانت تعطى للاكبر فالأكبر سناً من عائلة محمد علي باشا - وصرف على ذلك اموالاً طائلة



الحديوي اسماعيل باشا

من المقتطف

بالبلاد خصوصاً بالوجه القبلى ، حيث كان لا يوجد به سكك حديدية بالمرّة ، واهتم كثيراً بتحسين الري ، ففي عهده بنيت كثير من القناطر ، وشقت ترع عديدة للري منها ترعة الابراهيمية وترعة الاسماعيليه ، وانتشرت المدارس ، وتقدم التعليم وأوقف كثيراً من الاطيان اصرف ريعها على المدارس ، كما انه أوقف تفتيش الوادى ومساحته ٢٢ الف فدان على كتابت الامة المصرية من نصارى ومسلمين ، وظل هذا التفتيش تابعاً لوزارة المعارف العمومية ، وأخيراً عملت مساع لتتبعه لوزارة الاوقاف ، كما انه بعث فى وقته بعثات عديدة لاوروبا طلباً للعلم - وانتظم حال الازهر انتظاماً يدل على التقدم والرقى ، وفى عهده أيضاً انتشرت زراعة القصب والقطن ، وأنشئت فابريقات السكر ، حيث كان يوجد منها فى الوجه القبلى ثمانية عشر فابريقة ، من أكبر الفابريقات ، منها فى مديرية المنيا وحدها ١٢ فابريقة وثلاثة فى ارمنت وضواحيها و٢ فى الفيوم - وأنشئت جملة مساجد للعبادة كما انه انشأ جملة سرايات من انخر سرايات العالم ، وأنشأ أيضاً كوبرى قصر النيل ، وشارع الهرم ، ودار الاوبرا الخديوية ، التى هي وشارع الهرم تم عملهما فى خمسة وأربعين يوماً . وأول رواية مثلت فى الأوبرا الخديوية . هى رواية عائدة المشهورة التى تألفت خصيصاً بناء على طلب سموه . ودفع مؤلفها المشهور « غاربلدى » عشرين ألف جنيهًا

ثم وجه عناية خاصة بمدينتى القاهرة والاسكندرية ، ففتح بهما شوارع فسيحة نخمه ، وأوجد بها الانوار ، وغرس فيها الاشجار ، وأنشأ الحدائق والبساتين والمنتزهات العامة فأوجد بمدينة القاهرة حديقة الازبكية المزهرة

الجمهور، كما أنه أوجد بمدينة الاسكندرية حديقة الزهرة للغرض عينه ، مما جعل هاتين المدينتين على نظام اعظم المدن الاوروبية ، وكان شديد الولع بكل جديد ، حريصاً على عرشه ما أمكن

ومن صفاته التي تحلى بها ، انه كان يبغي بغضاً تاماً التعصبات الدينية وكان يرى أن جميع سكان البلاد هم رعاياه المخلصين ، فكان يعامل الجميع بالمساواة ، غير ناظر لا للمذاهب ولا للاديان ، وكان حلوا الحديث ، جذاباً للقلوب ، كثير الحركة ، حتى انه كان يشرف على جميع مصالح الحكومة بنفسه ، ويبت فيها بأمره ، وقد استدان مصر في عهده فوق المائة مليون جنيهاً صرف جلها في الاصلاحات والمشروعات التي قام بها لمصلحة البلاد وبعضها في شؤون خاصة به مثل الحصول من السلطة العثمانية على حصر الوراثة الخديوية فيه وفي انجاليه بعد أن كانت للاكبر فالأكبر من عائلة محمد علي ، وفي الوليمة التي اقامها في حفلة افتتاح قناة السويس التي دعا اليها جميع ملوك العالم ، وكان يقصد من ورائها ان ينادى باسمه امبراطوراً على افريقيه ، وفي انشاء فابريقات السكر بدائرتها . وفي وليمة اقامها للسلطان عبد العزيز في استامبول التي كان لاجل تحقيقها ضرورة انشاء قصر نفخ خاص يليق بجلالة السلطان ان يدخله ليتناول غذاءه فيه ، وفي جملة هدايا قدمت لرجال البلاط العثماني . وفي هدايا أخرى نفخة قدمت لعظماء المدعوين في حفلة افتتاح قناة السويس وعلى الاخص للامبراطورة اوجيني امبراطورة فرنسا

حفلة افتتاح قنال السويس

فن الأعمال البارزة في عهد سمو الخديوي اسماعيل افتتاح قنال السويس ، ولأهمية هذه التربة نورد هنا بعض تفصيلات مختصرة عن حفلة افتتاحها

لما تم حفر قنال السويس ابتدئ في الاستعداد لما يلزم لافتتاحها رسمياً فقام سمو الخديوي اسماعيل لأوروبا ، ومعه حاشية يفوق عددها عدد أى حاشية في رحلاته السابقة ، فر بيلاد اليونان وإيطاليا والنمسا وألمانيا وفرنسا ولندن وبلاد البلجيك وباقي البلدان الأوروبية لدعوة ملوكها وأمراءها ونبلاءها لحفلة افتتاح قنال السويس ، فكان يقابل في كل مملكة مقابله تفوق الوصف وينزل ضيفاً كريماً على ملوكها أياماً عديدة

وكان من جراء انفراده بالقيام بهذه الدعوة ان نظرت اليه تركيا بعين البغضاء حتى أن سلطانها لم يرسل مندوباً من قبله في هذه الحفلة واكتفى بالايحاز الى سفير انكلترا - الذي ناب عن حكومتها - ان يذكر اسمه لدى فتح التربة ، فكان ذلك موجباً لسرور الخديوي سروراً عظيماً ، لأن وجود السلطان على رأس ذلك الاحتفال كان من شأنه ان يحدد من مقام الخديوي في أعين المدعوين بينما عدم وجوده كان برهاناً محسوساً على جلوس الخديوي في مصاف الملوك ورمزاً لاستقلال مصر

وقد كانت الامبراطورة أوجيني امبراطورة فرنسا أول من حضرت الى موعد الاحتفال ، فستقبلها سمو الخديوي اسماعيل استقبالا باهراً ،

وأثر لها في سراي الجزيرة ، التي كان قد شيدها خصيصاً لها ، وقام بشؤون ضيافتها قياماً فاق كل ما اعتاده الملوك ، وأعد لها سياحة في نهر النيل ، وكان سموه رافقها لخدمتها أينما وجدت ، فسرت سروراً عظيماً مما لاقته في أثناء هذه السياحة

وبعد ذلك بأيام ابتدأت تصل المياه المصرية البوارج الحربية ، والبواخر والسفن البحرية وعليها المدعوين من عواهل أوروبا وكبار حكامها ومندوبيها ، فكانت هذه الوفود تقابل بالتحية الواجبة باطلاق المدافع التي ما كانت تسكت لحظة إلا وتعود للدوي باستمرار وتضاعف طلقاتها تضاعفاً ارتجت له السماء والارض

وفي الموعد المحدد للافتتاح أخذت باواخر المدعوين تسير في القنال من بور سعيد الى السويس يتقدمها النسر - ركاب جلالة الامبراطورة أوجيني - الى أن وصلت الى الاسماعيلية ، حيث أقيم هناك مرقص الاسماعيلية المشهور تحت رئاسة جلالة الامبراطورة أوجيني ، واشترك فيه أصحاب التيجان أنفسهم والامراء والاميرات والخيوي ، وقد بذل فيه ما لا يستطيع قلم وصفه من البذخ - وصنوف اللذات ودواعي السرور . ورتب فيه مقصف حوى مالد وطاب من صنوف المأكول والمشروب ، وامتزجت بطرب المرقص الموسيقى والالعاب النارية والزينات المؤتلفة بالانوار . حتى لم يبق احد لم يعتبر أنه قد نقل الى عالم الخيالات . فكانت ليلة لم تر العيون لها مثيلاً وان ترى شبيهها الاجيال المقبلة - ولا غرابة في ذلك فلقد بلغت تيممات هذه الحفلة أربعة ملايين من الجنيهات الذهب م

سمو الخديوى اسماعيل

والزى الاوربى

وسمو الخديوى اسماعيل كان محباً للتقليد الاوروبى . فهو الذي أدخل زى الملابس الاوروبية بالبلاد . وأمر أن يكون جميع مستخدمي الحكومة متحليين بها - كما كان مغرمًا بالزراعة والصناعة وانتشارهما بالبلاد راجياً رقيها وتقدمها . وكان مهيباً جداً حتى أنه لو ساح في نهر النيل كانت جميع المراكب والذهبيات تقف حركتها من المرور بدون أمر ولا تنبيه وإذا سكن في سراى من احدى سراياته تقف حركة مرور شارع تلك السراى - وفي زمانه تعددت الضرائب . لاحتياج الحكومة لاموال تقوم بجميع اصلاحاتها . ولكن رغمًا عن ذلك كانت البلاد في ايامه في افراح دائمة وهناء وسرور

محمد سيد احمد باشا

من أشهر الظماء البارزين في عصر الخديوى اسماعيل كان المرحوم محمد سيد احمد باشا فانه قدامتاز بصفات خاصة حيث فاضل عن وطنيته الصادقة وأخلصه للوطن وللمرش كان عائشاً عيشة تقرب من عيشة الملوك حتى انه لما كان يجلس الى مائدة الطعام كان تحت آلاية من الجوارى البيض الحسان يبلغ

عددهن اربعاً وعشرين جارية يشنفن سماعه بالآغاني والالخان الشجية
وقد ذاع صيته في الاعمال الخيرية وفي تفننه في اساليب الترف
مما استدعى اعجاب سمو الخديوي اسماعيل وخلافاً للقواعد المرعية والتقاليد
المألوفة تكرم سموه بزيارته بسرايه بشبرا وتناول على مائدته طعام الغداء
ولم يسبق للخديوي ان زار عظماً او اميراً بل خص هذا العطف
الاستثنائي بهذا الرجل العظيم « وهو جد حضرة صاحب الدولة اسماعيل
صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء الحالي »

وقد ترك عقباً له هو المرحوم امين سيد احمد باشا و كان متضلعا في
علم القانون والادارة وقد تقلب في جملة مناصب حكومية تارة في القضاء
وتارة في الادارة وكان حلو الحديث سميراً لطيفاً انيساً — وقد ادركته
المنية وهو في منصب وكيل الحماينة — رحمهما الله رحمة واسعة

أفراح الانجال

ومن الاعمال البارزة التي تمت في أيامه ، أفراح الانجال التي ظلت
قائمة أربعين يوماً حوت ملذات وملاهي العالم ونقصد بالانجال سمو الخديوي
توفيق وقد تزوج بسمو الاميرة امينة هانم بنت الهامي باشا (ام المحسنين)
والسلطان حسين وقد تزوج بالاميرة عين الحياة هانم بنت الامير احمد باشا
والبرنس حسن وقد تزوج بالاميرة خديجة هانم بنت الامير محمد علي الصغير
وزواج اختهم الاميرة فاطمة هانم بالامير طوسن

وفي هذه الافراح اعطيت العطايا واهدت الهدايا بسخاء عظيم ،
ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين حتى خيل أن هذه الافراح
هي افراح الامة بأسرها

الحوادث البارزة

وحدث أيضاً من الحوادث البارزة في عهده :

انشاء المحاكم المختلطة - تشكيل مجلس النواب الاول - مسألة اسماعيل
باشا صديق - مشترى أطيان الدائرة السنية - صرف ماهيات المستخدمين -
الجيش والوزارة المختلطة - حروبه مع السودان والاحباش

الباشوات البارزين

وكان باشوات عصره البارزين في شهرتهم واعمالهم هم :

نوبار باشا . شريف باشا . رياض باشا . علي مبارك باشا . طلعت باشا .
ثابت باشا . خيرى باشا . شاهين باشا . راسم باشا . قاسم باشا . البرنس
حسن . البرنس حسين . اسماعيل صديق باشا . سلطان باشا . السيد
اباظه باشا . قدرى باشا . اسماعيل محمد باشا . بهجت باشا . عرفان باشا .
سلامه باشا . راغب باشا . عبد القادر باشا حامي . عمر باشا لطفي . علي
باشا شريف . مصطفى فهمي باشا

هؤلاء هم ذوات وقته البارزين بأعمالهم وصفاتهم ووطنيتهم وسنتكم
عن كل واحد منهم اجمالاً عند المناسبة والخديوي اسماعيل كان عظيم
الحركة ، كثير النشاط ، سخي العطاء ، لا تفوته كبيرة ولا صغيرة ، وكان
يمضي شهراً من كل سنة في مدينة المنيا للاشراف على مزروعاته الخاصة
وعلى ادارة معامل السكر ، وكان في ذلك الوقت يتبعه جميع رؤساء
المصالح بحيث يتخيل للانسان ان جميع الحكومة انتقلت الى تلك المدينة
وذلك رغبة منه في استمرار مباشرته الدائمة لاعمال الحكومة ، والفصل
في اعمالها في الوقت الذي يشرف فيه على اعماله الخاصة

وكان في عهده باش اغاي الوالدة باشا المدعو خليل أغا ، ذو نفوذ
يفوق نفوذ كل ناظر في المملكة ، وكانت تخضع لاوامره جميع حكام
البلاد ، كما سنأتى على ذلك بالتفصيل

وكان سمو الخديوي مغرمًا بالمحفوظ والمسرات فكان يميل الى سماع
المغاني والآلات العربية كما كان يميل الى سماع المغاني الافرنجية ، وكان
في عصره أشهر مغنية تدعى « المظ » ، واشهر مغني يدعى عبده الحمولي
نالاً من عطفه كثيراً ومن الرعاية والاحسان جزيلاً

المحاكم المختلطة

أراد الخديوي اسماعيل ان يجعل مملكته المصرية مملكة تباهي
سائر الدول العظمى في نظامها وترتيبها فأمر بتشكيل مجلس نواب ، وهو



نوبار باشا

من المقتطف

أول حاكم لمصر فعل ذلك ، كما أمر بتشكيل المحاكم المختلطة القائمة الآن
بالبلاط ، فكلف وزيراً من أعظم وزرائه قدرة وذكاء وهو المرحوم
نوبار باشا أن يطوف بممالك أوروبا ويمهد السبيل لذلك ، كما وينال موافقة
تركيا ، وفتح له اعتماداً للصرف غير محدود للوصول الى هذا الغرض
فسعى وكد نوبار باشا لهذه الغاية الى ان كملت مساعيه بالنجاح ، فتمرح
بذلك سمو الخديوى فرحاً عظيماً ، . حيث نال بغيته ، وامر بتشكيل نظارة
الحقانية لهذا الغرض وبهذه المناسبة نذكر ان نوبار باشا قام بجملة اعمال
للوطن العزيز تدل على مهارة كبرى ، وفكر واسع مما تذكره له البلاد
على الدوام بالشكر الخالد.

دخول الاقباط قضاة بالمحاكم

وبمناسبة تشكيل المحاكم نقول انه لغاية حكم اسماعيل لم ينل قبضى رتبة
الباشوية الا أن هذا الخديوى هو الذى اشار بدخول الاقباط قضاة بالمحاكم
الاهلية التى تشكلت عقب تشكيل المحاكم المختلطة (بسعي المغفور له فخري
باشا الذى كان اذ ذاك ناظراً للحقانية وله الفخر الاعظم فى اتمام تشكيلها وحسن
نظامها مما خلد له ذكره جليلاً بالبلاط) وكان المتبع فى المجالس التى حلت
محلها المحاكم الاهلية ان يكون قضاتها وكتابها وسائر خدمتها قاصرة على
المسلمين فخالف هذه القاعدة المغفور له الخديوى اسماعيل وامر ان
تكون المحاكم الاهلية ممثلة لعنصري الامة اعني الاقباط والمسلمين فدخل

في وظائفها القضاة والكتاب وسائر ما يتعلق بها من الاقباط، كما يرى الآن في نظام المحاكم المذكورة واتذكر ان اول قاض قبطي هو المرحوم عبد الملاك بك كتكوت الذي عين بمحكمة قنا الاهلية كما كان في عهده وبمقتضى ارادته مباشرة تعيين حكام من الاقباط حيث عين جدي المرحوم يوسف بك عبد الشهيد مديراً لديوان القضايا بمديرية المنيا ، وتلك الوظيفة كانت عبارة عن وظيفة نائب عمومي يقوم بعمل التحقيقات في القضايا ويصدر احكاماً اولية يتقدم بها للمجالس لتصدر احكاماً نهائياً ، وكان الغرض من تعيينه بهذه الوظيفة تمهيداً لتعيينه مديراً للمنيا — وعين ايضاً المرحوم سرور بك القبطي وكيلاً لمديرية الدقهلية ، وهذه حسنة من حسناته اوجبت تعلق الاقباط به تعلقاً شديداً يكاد ان يكون في حكم العبادة ، وكان ذلك بمثابة رمز عظيم لاتحاد الامة ببعضها ، ومحو الفوارق والقضاء على التعصبات المذهبية مما جعل سائر سكان البلاد كمائلة واحدة تشترك بالتضامن في مصالحها ، مما يفرض الشكر المتناهي لصاحب هذه المباديء الشريفة ، والتي تدل على بعد النظر

حكاية

اسماعيل باشا صديق المفتش

وفي عهد سمو الخديوي اسماعيل رحمه الله كان متخذاً وزيراً أمن وزرائه خليلاً له وهو امر حوم اسماعيل صديق باشا فكان هذا الوزير الوكيل المطلق عن الحضرة الخديوية : نافذ الامر في كل شيء ، بلغ صيته عند السماء وكان رجلاً وديعاً لطيفاً ، وانما كان ينسب اليه ضرب الضرائب على الاهالي مما اثقل عانقهم وكان بدون أدنى كلثة أمام الحضرة الخديوية بما يستدل منه انه كان ليس وزيراً فقط . بل صديقاً حميماً لسموه

هذا الوزير عاش عيشه الترف التي تقرب من عيشة الخديوي ان لم تكن تماثلها وشيد جملة سرايات باق من آثارها سراي وزارة الداخلية وسراي وزارة المالية وسراي وزارة الحتمانية وسراي مجلس الوزراء وملحقاتها وكان يملك من الجوارى البيض الحسان اكثر من مائة حورية . وكان في خدمته وخدمة الحرم خدم لا يحصى عددهم من الاغوات والعبيد والمماليك وخلافهم : فل هذا الوزير في هذه المعيشة الهنيئة وتلك العلاقة الودية بسمو الجناح الخديوي زمناً طويلاً ؟ الى ان عجزت الحكومة عن دفع اقساط الدين لدولتي فرنسا وانجلترا الذي استدانته منهما ، مما أدى الى قلق

هاتين الدولتين فاتفقتا فيما بينهما على تشكيل لجنة تحقيق تحضر لمصر وتبحث موارد الدولة المصرية وتنظر في ميزانيتها لترى اذا كان يمكن التوفيق في سداد اقساط الدين مع حفظ ميزانية الحكومة لادارة شؤونها وفعلا تشكلت تلك اللجنة من فرنساوى وانجليزى وحضرت الى مصر لهذه الغاية

فقلق سمو الخديوى من ذلك وسأل اسماعيل صديق باشا الذى كان وقتها ناظراً للمالية عما يفعله مع هذه اللجنة ، فكان جواب اسماعيل باشا (ماذا أعمل يا مولاي إلا أن أقدم لهم الدفاتر والأوراق ليفحصوها ويقولوا ما يقولون) ، فلم يسترح الخديوى لهذا الجواب بل زاده قلقاً وتصادف ان كان قدوشي اليه فى حق وزيره بانه متمرد ومشتغل فى تدبير دسائس ضد العرش ، انتهز فرصة وجود لجنة التحقيق لا تفتأ اغراضه وكان للرجل حساد كثيرون تضامنوا فيما بينهم للايقاع به بطرق الوشاية المذكورة. كن هذه الحالات حدثت فى وقت واحد وكان فى ذلك الوقت الجناح الخديوى مضطرب الافكار فأخذ رأى وزرائه وعظماء الدولة فيما يجب عمله امام هذه الحالة فأشاروا على سموه بأنه يحسن اذن ابعاد اسماعيل باشا من مصر الى السودان وفعلا صدرت الأوامر بسفره . ودبرت التدابير اللازمة لهذا الغرض فى سراى الجزيرة حيث كان ينتظره هناك البرنس حسين والبرنس حسن ومصطفى فهمى باشا الذى كان اذ ذاك محافظاً لمدينة القاهرة . وبمجرد وصول اسماعيل صديق باشا لسلامك السراى اعتقل وانزل بوابور « طير سعد » الذى كان معداً لهذا الغرض ومنتظراً



مصطفى رياض باشا

بن المفتطف

بجوار السراى وصار تسفيره تحت حفظ قوة عسكرية على رأسها ضابط جركسي من ياوران السراى يدعى اسحق بك متجهين به الى اسوان ، وفى اسوان اركبوه جملا وساروا به الى دنقلا ، وفى دنقلا توفاه الله الى رحمته تعالى ، وقيل انه مات بالحمى التيفودية ، وكل ما قيل عن وفاته فى كوبري قصر النيل وخلافه فلا حقيقة له بالمرّة



عود على بدء

أما الآن فنعود لمن تولى مرافقة اللجنة الخاصة بالتحقيق فقد اتجهت الانظار الى تعيين المرحوم رياض باشا وكان من أكبر المجاهدين على الاسراف الذى أوجب أضمحلال البلاد وتأخرها فكشف امام اللجنة اسراراً كثيرة ولم يترك كبيرة ولا صغيرة ، وقد ترتب على نتيجة تحقيق هذه اللجنة أن وضعت نظمات حكيمة لايرادات ومصرفات الدولة ، ولدفع اقساط الديون لأربابها وتنفيذ ذلك الغرض شكت اول وزارة مختلطة بمصر كان يرأسها نوبار باشا وكان وزيراً للداخلية فيها

رياض باشا وللمعارف على مبارك باشا ، وعين لوزارة المالية وزير
الإنجليزي اسمه ريفرس ولسن ووزير فرنساوي الاشغال العمومية
اسمه دبلنير

سارت في طريقها هذه الوزارة بنجاح عظيم ، ولكنها قيدت حرية
الخدوي وكان للجيش متأخر مرات لم يستطيعوا صرفها فشكوا للحضرة
الخدوية ذلك فقال لهم هذا عمل يخص الوزارة فهجم الجيش على الوزارة ،
وحصل التطاول منه ضرباً وشتماً على نوبار باشا رئيس مجلس النظار وعلى مستر
ريفرس ولسن وزير المالية الإنجليزي ، فانتهر الخديوي هذه الفرصة وقال ان
النظارة التي تهاون هكذا لا يصح بقاؤها في الحكم وأمر بأسقاطها ، وشكل
وزارة وطنية برآسة راغب باشا وكانت نتيجة ذلك ان نوبار وولسن ودبلنير
سافروا لاوروبا وعرضوا الحالة للدولتين فترتب على ذلك اجماعهما على ضرورة
تنازل الخديوي ،

فارسلنا اشارة للخديوي بضرورة تنازله عن العرش ضماناً
للمصلحة العامة ولا استمرار بقاء مركز العرش في انجالة ، فاجابهما بأنه ليس
تابعاً لهما حتى يفصلان في أمره انما هو تابع للباب العالي ، ولا يتلقى امرأ من
سواه ، فأتمجعت انظار الدولتين الى مخابرة السلطنة العثمانية التي لم تتأخر لحظة في
اصدار امرها بعزل الخديوي وتولية أكبر انجالة البرنس توفيق ، وان
يتوجه سمو الخديوي اسماعيل مباشرة بعد ترك مركزه الى استانبول ، فأراد



﴿راغب باشا﴾

الخديوى بادىء بدء ان لا ينفذ هذه الارادة ، فنصحته المرحوم شريف
باشا بانه لاجل خير عائلته يجب ان يقبل تنفيذ هذه الارادة حيث انه غير
مستعد بجيش يقاتل جيش الدولة العلية اذا اراد اخراجه بالقوة ، ولا قوة
بحرية تعادل قوتها ويخشى أن يكون هذا العمل موجبا للتضاء على تولية
أي شخص من عائلة محمد علي على عرش مصر ، فسمع النصيحة ونفذ الامر
من حيث تنازله عن العرش واستعد للسفر ولكن بدلا عن اجابة امر
السلطان بالتوجه الى استنبول قام مباشرة الى ايطاليا وسكن في مدينة نابلى —
هذا ما كان من نتيجة هذه الحادثة

وكان سمو الخديوى اسماعيل عند رحيله من مصر أخذ معه اموالا
طائلة وعقد النية أن يبذل المساعي الممكنة والغير ممكنة لدى فرنسا وانجلترا
والدولة العلية حتى يعود الى عرشه بمصر ثانية ، فصرف في هذا السبيل
اموالا طائلة لا تحصى ، وكاد أن يصل الى غرضه ولكن خافه الخط في
آخر وقت حيث وجدت عقبات اوقفت الوصول الى الغاية المطلوبة ،
ولما كان الباب العالي حائقا عليه بسبب مخالفته اوامره وذهابه الى
ايطاليا بدلا عن استامبول فقد بذل الخديوى اسماعيل مجهوده لا صلاح
ذات الين بينه وبين الباب العالي — وعمن مساعي كثيرة يتطلب بها السماح
له بدخوله استنبول وعرض اخلاصه لجلالة السلطان فستعملت تركيا
خداعها المعروف في اخلاق بعض رجالها ، وتظاهرت له بالرضاء التام
وصرحت له بالدخول ، ففرح بذلك سمو الخديوى فرحا شديدا واعتقد

ان اكبر العقد قد حلت وانه بمجرد دخوله استانبول سينال بغيته فذهب على الفور اليها وفعلاً سمح له بمقابلة جلالة السلطان ، فقابلته أحسن مقابلة ، وكان في وقت مقابلة جلالتة موجوداً ايضاً البرنس حلیم في حضرته ، ومعلوم أن الكراهة المتبادلة بين البرنس حلیم والخديوي اسماعيل كانت قد وصلت الى أقصاها ، فأمرها السلطان بمصافحة بعضهما بعضاً فزاد بذلك اطمئنان الخديوي اسماعيل ، وبعد انصرافهما من الحضرة السلطانية وتوجه كل منهما الى سرايه أعطيت اوامر من جانب الحكومة السلطانية بان سمو الخديوي اسماعيل ليس مصرحاً له بالخروج من سرايه فاصبح كسجين فيها لا يتمتع بحرية الحياة ، وعض اصابعه وندم لما فرط منه من الغلط لعودته الى استانبول بعد ان كان طليقاً يجول في مدن اوروبا ، طولا وعرضا فظل هناك زمناً طويلاً حتى مرض المرض الاخير ، فسعى بان يسمح له بالعودة الى مصر لموت ويدفن فيها فقبلت السلطنة ذلك الالتماس حيث تحققت من نهاية حياته وسمح اللورد كرومر بذلك وسمح الخديوي عباس مبدئياً في ذلك الوقت ، ولكن رجل من رجال السراي الخديوية يعد غرس نعمة الخديوي اسماعيل قام معارضاً لهذه الفكرة ، واظهر للخديوي عباس انه اذا عاد الخديوي اسماعيل وهو حي لمصر لسقط عن عرشه ، فدخل وسواس عظيم في نفس سمو الخديوي عباس من ذلك وتردد كثيراً في الأمر وأخيراً رفض بتاتا السماح له بالعودة الى مصر ، ذلك الموظف الذي اثار هذه الفتنة نظير النعم التي غمره بها اسماعيل هو محمود شكري باشا الذي كان رئيس ديوان السراي التركي ولم تمض على هذه الحادثة خمسة

ايام حتى قرىء في الجرائد نعي الخديوي اسماعيل باشا باستانبول ، فأتي به الى مصر باحتفال لائق بقدره ، يتنق مع مقامه ومشى في جنازته الخديوي عباس وجميع افراد العائلة الخديوية وقناصل الدول وسائر الحكام واعيان واهالي البلاد الى ان واروه التراب في جامع الرفاعي الذي كان انشأه لهذا الغرض رحمه الله رحمة واسعة

وكان من مطامع الخديوي اسماعيل ، ومن امياله الكبرى ان يصبح يوماً ما امبراطوراً على افريقيا ، وفعلوا وصل بسعيه الى ان نال وعداً من نابليون بونابرت الثالث امبراطور فرنسا ، ومن جلاله السلطان عبدالعزير تحت شرط ان يكون داخلاً تحت دايرة نفوذه ، السودان بأ كمله ومملكة الحبش ، فسعى وجد الى ان استحوذ على السودان وملحقاته مثل سنار وهرر وخلافهما ، وكان العضد الاول للحكومة المصرية في استيلائها على السودان هو الزبير وحاكم السودان العام عبد القادر باشا حامي وكان الزبير رجلاً هماً شجاعاً مقداماً ذا نفوذ كبير جداً في بحر الغزال ، وبعد ان اتم جهاده في الاستيلاء على كل ما طلب منه من ضم اراضي السودان واخضاعها الى الحكومة المصرية ، وشا في حقه الوشاة من حكام مصر للجناب الخديوي حسداً منهم له فوصات بهم النخبة الى ان ادخلوا في ذهن الخديوي ان هذا الرجل يخشى منه ان ينادى باسمه خديوياً على السودان والخلص منه واجب وضروري لمصر فدبر الخديوي حيلة لنفاذ هذا الغرض — وتلك الحيلة هي انه انعم عليه برتبة باشا واوعز الى بعض حكام السودان المصريين ان يقولوا له انه من التقاليد المريعة انه عندما ينعم

على عظيم من العظماء بمثل هذه الرتبة الرفيعة ، يجب عليه ان يلتبس مقابلة سمو الخديوي لتقديم التشكرات لذاته الفخيمة ، ولما كان الزبير حسن النية وعاملاً مخلصاً لخدمة مصر ولا يداخله ادنى شك في حسن نيتها امام ما قام به من الخدمات — دخلت عليه الحيلة ، وطلب الاذن من الخديوي بحضوره لمصر فاذن له في الحال بالاتيام فحضر فوراً واستحضر معه هدايا عديدة من جوار واغوات وريش نعام وسن فيل — واحضر كميات كبيرة منها لتقديمها للجناب الخديوي ووزراء مصر — وتصادف حال مروره بالسكة الحديدية لمصر ان كنت انا برفقة المرحوم سلطان باشا بمحطة مغاغة ولما كان اسم الزبير واعماله معلومة لسلطان باشا واسم المرحوم سلطان باشا معروف بشهرته لدى الزبير باشا تقابلا وتعانقا واطهر كل منهما للآخر محبة واخلاصاً ، فعز على سلطان باشا ان يكتم عن الزبير ما ينويه له الخديوي فقال له كيف دخلت عليك الحيلة وانت رجل ذكي كثير التجارب وتركت بلادك واتيت لمصر ؟ — فقال الزبير ما اتيت لمصر للاقامة فيها ولكني اتيت لتأدية واجب للخديوي واعدود في الحال فقال له المرحوم سلطان باشا ارجو الله ان يحقق لك ظنك واسكني اخشى أن تطول اقامتك في مصر ، وحينذاك آن موعد قيام القطار ، فقام بعد ان تصالفا طويلاً

دخلت على افكار الزبير هو اجس ووساوس من عبارة المرحوم سلطان باشا ولكنه كان يرجح دواماً انه يتغلب عليها معتمداً على ما قام به من الخدمات ، ولكنه بمجرد وصوله الى مصر ، وان كان قوبل بمقابلة فاتح عظيم وقبلت منه الهدايا التي قدمها للسراي وللاوزراء ، الا انه صدرت اوامر

ببقيائه بمصر وعدم عودته للسودان ، وظل محجوزاً بمصر في مدة اسماعيل وفي مدة توفيق وما عاد الى السودان الا عند قيام اللورد كتشير بالحملة التي قادها لاسترجاع السودان اثناء فتنة المهدي وكان من رجاله العاملين العظام ، وكان ذلك في عهد سمو الخديوي عباس

وفي ذات الوقت الذي كان الخديوي اسماعيل مشغولاً فيه بالاستيلاء على السودان بواسطة حملة مصرية عسكرية والزير تحت اشراف عبد القادر حامي باشا حاكم السودان العام وقتها ، كانت ايضاً مهتماً بمحاربة الحبشة بواسطة حملة عسكرية كبرى يرأسها البرنس حسن الذي كان اذ ذاك وزيراً للحربية ، ولكن خانه الحظ حيث كسرت الحبشة الجيش المصري واسرته وعملت مساع عظمى لتجاة البرنس حسن وعودته بالسلام لمصر

ومن بعد هذه الحادثة اخذ نجم الخديوي اسماعيل في الافول حيث مات السلطان عبد العزيز الذي كان اكبر عضده كما انه اسراً لمبراطور نابليون في الحرب التي قامت بين فرنسا والمانيا في ذلك العهد المعروفة بالحرب السبعينية ، وكانا الركن الاعظم لتعظيم اسماعيل ، فضاعت جميع آماله من تلك الوجهة

وكانت لاسماعيل نوادر كثيرة حلية - اعرف انه يوماً من الايام دخل عليه مفتش من مفتشي مزارعه وكان اسمه عكوش باشا وقل له يا اقدينا اني وجدت كنزاً ثميناً لا ينتمي للبلاط ، اعرض تنصيراته على مسامعكم الشريفة - ذلك الكنز هو ان ازرع ستين الف فدان ملك الدائرة السنانية

بالفيوم اشجار زيتون ممكن ان يستخرج منها مقادير لا تحصى من الزيت ليس فقط اموتن منها جميع الآلات والمكينات الداخلة في دائرة القطر المصرى، وكذلك السكك الحديدية المصرية باجمعها، بل يمكن اصدار منها مقادير عظمى لاوروبا فتأتينا بريح طائل. ولما كانت الفابريقات التى تلزم لعصيره يستغرق استحضارها وتركيبها واعدادها للادارة زمناً طويلاً فارجو من سموكم صدور الامر من الآن باستحضارها حتى فى هذه الفترة يكون قد بلغ الزيتون رشده واخذنا ثماره والا تتأخر فى عصيره

فسر بهذا الخبر سمو الخديوى سروراً عظيماً واستدعى فى الحال المرحوم سلطان باشا الذى كان اذذاك حاكماً عاماً للصعيد، وأمره بعد ان قص عليه الرواية ان يعمل ما يلزم لاستحضار آلات هذه الفابريقات حالا من أوروبا، فضحك المرحوم سلطان باشا وقال : يامولاي لم يغرب على شريف علمكم ان عكوش باشا رجل مشهور بالكذب، فاذا اعتمدنا على مثل هذه الاقاويل الكاذبة وهى محققة من الآن، وبرهاناً على ذلك طلبه استحضار الآلات قبل زراعة الزيتون الذى لا نعرف اذا كان ينجح ام لا ينجح، فنكون نحملنا بمصاريف جسيمة جداً باستحضار تلك الآلات الغير مضمونه فائدتها فلننتظر حتى يزرع الزيتون وينمو ونرى ثمره وحينئذ انك نحكم اذا كانت الحالة تستدعي احضار تلك الآلات من عدمه، فأجابه الخديوى بما يأتى : — اسمع يا سلطان باشا انا أعرف ان عكوش باشا كذاب، ولكن كذبه يبسطني وأعرف انك انت صادق ولكن صدقك يضايقني، فأذهب واطلب الآلات واته، فذهب سلطان باشا وهو ممتلى، استغراباً وفعلاً طلب

فابريقتين لعصير الزيت وتم تركيبهما بالفيوم ولم تستخدما في استخراج الزيت لغاية الآن

ومن نوادر الخديوي اسماعيل ايضاً انه كان حريصاً جداً على عرشه فعلم يوماً من الايام ان رجلاً باحدى بلاد مديرية جرجا يدعى «جعلص» ادعى الولاية ، واخذ ينادى بانه سيكون خديوياً لمصر فالتفت حوله بعض من الرعايا ، فما بلغ خبره لمسامع الخديوي حتى امر بشنقه في وسط البلد حالاً ، وتوزيع اهالي البلد التي ظهر منها هذا الشرير على البلاد المجاورة وهدم البلد وحرثها لتكون اراضي زراعية حتى لا يكون لها أثر في الوجود بعد أن ظهر منها هذا الشرير

وكان له تطورات غريبة ، فكان مثلاً يرفع رجلاً من الزبالة الى أعلى الدرجات ويوليه أكبر المناصب بينما كان يسقط أعظم رأس في البلد من أعلى الدرجات الى اسفل السافلين ، مثال ذلك انه امر بتعيين شاهين باشا الذي كان وزيراً للحرية والبحرية مأموراً لتشغيل سكة حديد السودان ، وسلطان باشا مفتشاً للفيوم بعد أن كان حاكم الصعيد العام ، ورؤوف باشا بعد ان كان حاكم السودان العام اصبح مديراً لجرجا ، وأعرف مرة انه عين المرحوم على باشا مبارك ناظراً للاشغال وأسند اليه نظارة المعارف العمومية ومحافظة مصر وادارة السكة الحديدية وبعد ذلك بأشهر قليلة سلب منه كل هذه المصالح وجعله باشمهندساً للركاب العالي فقط

وكان اسمو الخديوي اسماعيل حركة لا تهتم على الدوام مشغولاً بتصرفات امور الحكومة تحت نظره الخاص كثير النشاط ، محباً لتفريح حلو الحديث

يحب العلماء النيرين، وكان متخذاً منهم عالمين فاضلين وهما المر حومان الشيخ على الميثي والسيد على ابو النصر، كانا بصفة نديمين يلتذ لسماع حديثهما ويسرنكتاهما كما كان يجمع بين الصفات الباريسية وجميل الشمايل العربية، محبوباً من جميع الامة المصرية مع انها كانت تخشاه وتهابه وتخاف سلطته، وكانت الامة في عهده في هناء وسرور

وكان يوجد في عهده كثير من الانظمة القديمة التي تركها له الولاة السابقون منها انه كان يوجد في كل مديرية سنجق، على رأس ستاية عسكري باشبوزاك، خليط من جميع الاجناس والاصناف، وكانوا يعيشون في الارض فساداً، وربما كان وجودهم اكبر العلل لخلل الامن العام كما انه كان يوجد عدد كبير جداً من العربان المنتشرين بالجبال والسواحل يسكنون الخيش والنجوم وكان اكثرهم يعيش من اللصوصية، فأراد الخديوى اسماعيل ان يتخلص من كل هؤلاء فأمر حكام الجهات ان يوعزوا الى الفريقين بان الحكومة ستغزو السودان وانه سيوكل اليهم هذا الامر -- أى للسنجق وعسكرهم والعربان، وكان ذلك في الوقت الذي وجه فيه الخديوى حملة للاستيلاء على السودان، وضمه الى مصر، ففرحوا بذلك كثيراً، وسرعان ما تهيأوا للسفر، وصرفت لهم خريشة الحكومة ما لزم لتسفيرهم ولقضاء مصالحهم الوقتية فسافروا جميعاً للسودان، الا ان العرب احتاطوا للامر بأن ابقوا منهم جانباً كبيراً هنا ليكون تحت الامداد من دخل الحرب، وحال وصولهم للسودان واندماجهم في المحاربة، صدرت اوامر من هنا لحاكم السودان العام وكان اذ ذاك

عبد القادر باشا حامي ، بعدم السماح لأى منهم بالعودة الى مصر ، اذا سلم من الحرب . وهذه الوسيلة قد تطهرت البلاد من وجودهم واستراحت العباد من شرورهم

اقباط المنيا والمبشرون الامريكان

ومن المسائل ذات الاهمية الكبرى التى حدثت مدة الخديوى اسماعيل . انه ظهر مبشرون من الامريكان ، كانوا يطوفون بالبلاد لتبشير الاقباط بالمذهب البروتستانتي ، فأمكنهم ان يستميلوا اليهم فى مدينة اسيوط عائتين هما عائلة ويصا وعائلة خياط ، وهاتان العائلتان أول من خرج من المذهب القبطى الارثوذ كسي الى المذهب البروتستانتي وبعد ذلك حضر المبشرون الامريكان الى بندر المنيا ، وكان اقباط المنيا وقتها يتبعون نصيحة جدي المرحوم يوسف بك عبد الشهيد فى كل امر ، فنصحهم بأن لا يتواجدوا فى اى اجتماع يدعون اليه هؤلاء المبشرين ، فقبل اقباط المنيا نصيحته ، ولذلك غضب المبشرون وعلى رأسهم الدكتور هوج ، ورفعوا شكوى لقنصل عام امريكا بمصر ضد المرحوم جدي ، وقد بلغها هذا القنصل انظاره الخارجية التى بلغها انظاره الداخلية ، وهذه شرحت عليها وحولتها مديرية المنيا لعمل تحقيق عن ذلك ، فاطلع المدير وقتها المرحوم جدي على هذه الشكوى ، فطلب بنفسه من سعادة المدير ان يستجوبه كتابة ، فجابه الى طلبه ، فوجه اليه سؤالاً يطلب منه فيه تصريحاً عما حصل فى هذا الامر الذى يشكو منه المبشرون الامريكان فجابه قائلاً — الامر بسيط جداً ،

هؤلاء المبشرون حضروا لبلدنا يطلبون منا ان نخرج من ديننا فرفضنا ذلك، فهم يشكون من بقانا على مذهبنا، فاذا كانت الحكومة تود ان تساعد هؤلاء الاجانب على خروجنا من مذهبنا واتباع مذهبهم فلتقل لنا ذلك بصراحة ونحن نفكر في الامر

فاما بلغ الجنات الخديوي أجابة المرحوم جدي بهذا الشكل، سر سرورا عظيما منه، واستدعاه وشكره، وأنعم عليه بنيشان رفيع في وقتها، لان الخديوي كان في حالة غضب شديد من تصرفات المبشرين بالبلاد المصرية، وكان يزداد كدرا عندما يسمع بأي قبضي خرج من مذهبهم وتمذهب بمذهب الاجانب، ولذلك، ولكي يقضي على هذه الحركة، استحسن ان يقوم غبطة البطريك وقتها المدعو الانبا ديمتريوس بسياسة، وان يكون تحت أمره وابور من الركائب الخديوية، وخدم من المسافرين خاتمة الخديوية، ويطوف ببلاد الصعيد، ويكون المديرون وحكام الصعيد في خدمته، وتحت أوامره، فطاف البطريك بهذه العظمة والنخفة التي كان لا نظير لها بموم بلاد الصعيد، فكان في طوافه هذا بهذا المظهر، وما قدم له من التبجيل والتكريم، القضاء المبرم على تلك الحركة التي كان يراد منها تتبع الاقباط لكنيسة أجنبية— و بمعنى أوضح خروجهم من الرعوية المصرية الى الرعوية الامريكانية— والفضل كل الفضل في ذلك يعود للخديوي اسماعيل، وبعد نظره مما يحفظ له الذكر الذي لا يمحي بالحمد والثناء

الجمعية الخيرية القبطية

ومن المسائل الهامة التي حملت في عهده ، هو ان قام فريق من الاقباط الذين اتسمت أخلاقهم بالميل الى خدمة الانسانية ، وفكروا في تأسيس جمعية خيرية قبطية ، لتخفيف ويلات الفقير ، واعدانة المسكين ، وتربية اليتيم ، وذلك الفريق هو حضرات

- | | | | | | |
|----|--------------------------|------|----|----------------------|-----|
| ١ | مرقس بك مفتاح | رئيس | ٢ | برسوم افندي حنين | عضو |
| ٣ | غطاس افندي حنا | عضو | ٤ | جرجس افندي بقطر | » |
| ٥ | جرجس افندي عصفور | » | ٦ | يعقوب بك نخله | » |
| ٧ | تادرس افندي حنا الجيزاوى | » | ٨ | يسى افندي عبد الشهيد | » |
| ٩ | بطرس افندي ابادير | » | ١٠ | اخو اجارزق لوريا | » |
| ١١ | حبشي بك مفتاح | » | | | |

وجميعهم توفوا ولم يكن باقياً منهم على قيد الحياة إلا حضرة حبشي بك مفتاح ، وكان ، هذا الفريق برئاسة المرحوم مرقس بك مفتاح ، الذي كان بحق رجل الاصلاح وخادم الانسانية ، فقام بتأسيس الجمعية المذكورة بمقتضى محضر في سنة ١٧١٨ وهذا المحضر محفوظ تحت يد حضرة حبشي بك مفتاح شقيق المرحوم مرقس بك مفتاح رئيس مؤسسي الجمعية وهذه الجمعية هي القائمة الآن برئاسة صاحب العزة جرجس بك انطون ، وقد أدت كثيراً من الاعمال في تخفيف ويلات الانسانية ، ونشر التعليم ، ومن أعمالها الباهرة انها أسست المستشفى القبطي والمشغل البحري ،

وهي التي تصرف عليهما من إراداتها الخاصة فندعو لها بالنجاح الدائم
وبهذه المناسبة نقول ان حضرة جرجس بك انطون رئيس هذه
الجمعية الحالي، أدى مجهودات لا تنكر في تعزيز أركانها وخدم تقابل بالشكر
والثناء مما يفرض علينا ان نعلنه على الجمهور

واتذكر انه في عهده كان يوجد مدير اسمه داود باشا، ظال مدير آفي
مديرية قنا زمننا طويلا، وكانت هذه المديرية إذ ذاك ممتلئة بالاشرار
وقطاع الطرق وسافكي الدماء، بحيث كان لا يمكن لأي انسان أن يسير في
طريق ما سواء أ كان ليلا أم نهارا، ويكون آمنا على حياته، وكان اهتمام
ذلك المدير منصرفا في تطهير المديرية من هذه الأحوال المشينة، وكان
يعتمد أيضا، انه اذا اعتمد على أحكام المحاكم وتحقيق النيابة، لا يصل الى
نتيجة فعالة، لانه كان يقول انه مهما قيل في حق جال من الجناة، للنيابة
اول المحكمة، فما اسهل على النيابة او المحكمة من ان تقول - الادلة غير
متوفرة - وتحكم بالبراءة

ثبت في ذهنه هذا - ورغب رغبة أكيدة في تطهير المديرية فسن
طريقا مخصوصا اتبعه، وذلك الطريق، أن القاتل اذا ثبت لديه أنه قاتل
فعلا. ووجد من الادلة ما يثبته بذلك أمر بقتله في السجن خنقا، وبعد
الوفاة يأمر حكيمباشي المديرية بان يصدر شهادة بانه مات بالحمى التيفودية،
وافتكرك ان أحد الاطباء توقف مرة في ذلك فصر به وارغمه على توقيع
الشهادة فوقها.

وكان ايضا اذ اثبت لديه أن رجلا فضح عرضا أُوْهب بيتا، ولم يقض على حياة انسان في أثناء ارتكاب جريمته هذه، فيكتفي بأن يفقده بصره كحل عمله خصيصا لذلك .

ترتب على هذا أنه لم تمض مدة طويلة من الزمان حتى تطهرت المديرية تطهيرا تاما، واصبحت المرأة وهي متحليه بجميع حلاها، تسير في جميع طرق المديرية سواء اكان ليلا أم نهارا بدون ان يتعرض لها انسان ، حتى ضرب المثل الاعلى بانتشار الامن في جميع ربوع المديرية .

وكان يميل الى العدل كثيرا مهابا كلمه ، وافترى ان امرأة حضرت اليه يوما بالمديرية وقالت له بنص اللفظ — العمدة هب جاموستي ياد اود وانت في المديرية فهل يرضيك ذلك؟ فقال لها لا ستأخذين جاموستك اذا كان كلامك صحيحا ، وقد كانت عملت له عملية بواسير في ذلك اليوم وكان لا يصح ان يركب أي ركوبة لهذا السبب ، ورغم تنبيه الحكماء بما يعود عليه من الضرر اذا ركب ، قال ، أنه لا يهدأ له بال ، ولا يستريح له سر ، الا اذا ردت الجاموسة لصاحبها . داود موجود وتسرق جاموسة امرأة بواسطه عمدة بلد ؟ هذا كثير — !

وطلب في الحال بغلة كان قد اعتاد أن يركبها وامر المرأة ان تركب دابتها وتذهب بمعيته ، وقام ركبه قاصداً الناحية التي تنطهبها تلك المرأة . واستحضر العمدة ، وثبت له من سؤاله اياه ، أنه هب الجاموسة حقيقة ، فستردها منه وسلمها لصاحبها ، وارغمه على دفع خمسة جنبيات تعويضا للمرأة ، وبعد ذلك جلده تأديبا لما اقترفه ، ورجع نفورا مسرورا بعمله ،

وكان له قصص كثيرة من هذا القبيل ، ذكرنا منها هذه القصة على سبيل التمثيل .

وبعد أن تطهرت المديرية نقل الى مديرية جرجا ، فطهرها أيضا ثم نقل الى مديرية الجزيرة . وكان في ذلك الوقت ، أكبر اهتمام بالحكام بالاقليم في تحصيل الاموال الاميرية وسائر الضرائب ، وما بقي بعد ذلك من أعمال المديرية ، كان ثانويا في نظر الحكام ، فعندما نقل مديرية الجزيرة ، اهتم كثيرا بتحصيل الاموال ، واتصل به ان جميع أهالي المديرية يدفعون عن طيب خاطر كل الضرائب المطلوبة منهم ماعدا أحد كبار علماء الازهر الذي كان يملك أرضا بتلك المديرية ويسكن بالجزيرة ، فهو الوحيد الذي كان لا يدفع الاموال ، فترأست عليه المتأخرات كثيرا من هذا القبيل ، فطلب المدير كشفا بجميع المتأخر عليه لغاية ذاك التاريخ ، وأرسل رسولا يستدعيه ، فرفض العالم التوجه للمدير وقال لا شغل لي عنده ، فعندما حضر الرسول وابلغ المدير ذلك فقال ، وهل رسول داود يصح أن يكف بمأمورية ويرجع بدون قضائها ؟ نومه يا ولد ، وجلده جلدا مؤلما وقال له اذهب واستحضره حالا باي كيفية ، فذهب الرسول الى العالم وفي يده كرباج عظيم وقال للعالم تفضل كلم المدير . فابتدأ العالم يعتذر ، فضربه الرسول ضربا فما كان من العالم سوى ان خضع وامتل وذهب صحبته المدير وكان ذلك العالم لا يلبس فاخرة من الجوخ والشاهي ، فدخل على المدير وقال ، السلام عليكم ورحمة الله ياسعادة المدير ، وهم ان يجلس بجانبه ، فقي الحال صرخ المدير صرخة عالية وقال ، يا ولد فدخل عليه اثنان من القواءين ، وقال لهما

خذا هذا الكلب (مشيرا الى العالم) واطرحوه أرضا، فطرحوه أرضا ووضعوا رجله في فلقة سلسلتها حديد، وأمر بجلده بالكر ابيج . فاشتغلت الكرا ببيج على اقدامه وهو يصرخ ويستغيث، فقال له المدير، لا يكف عنك الضرب الا اذا دفعت كل مطلوب الحكومة على آخر قرش ، وفي الحال اسرع واستحضر من بيته كل مطلوب الحكومة، وحينئذ لك كف عنه الضرب، وما استطاع العالم بعد ذلك ان ينهض على رجله لما حل به من الألم، فخلوه على الايدي واوصلوه لغراشه في بيته

ذاع هذا الخبر حتى وصل لمسامع علماء الازهر ، فقاموا وقعدوا له ، وتشكل منهم وفد برئاسة شيخ الجامع الازهر ، وقصدوا سراي عابدين وتشرفوا بمقابلة سمو الخديوي اسماعيل وقالوا له ، يا افندينا في عصرك ، عصر النور والعلم ، الذي رفعت فيه راية العلم ، وعظمت قدر القائمين به ورفعت شأن الأزهر الى عنان السماء، يضربون فيه العلماء بالعدة والكر باج كسائر الفلاحين؟ فقال لهم من فعل ذلك؟ قالوا داود مدير الجزيرة يا افندينا فأمر في الحال باستحضاره، فذهب خيال عمق خيال لاستحضاره ، والعلماء في انتظار قدومه عند الحضرة الخديوية ، واذا بداود باشا قد حضر ، وهو ثابت الجنان ، ولم يكن عنده ادنى اضطراب بخلاف ما كان ينتظر ، وسأله افندينا، هل انت ضربت العالم فلان؟ قال نعم ، قال وكيف تضرب عالماً؟ فقال ، افندينا نائب الخليفة في الحكومة المصرية ، وانا نائب الخليفة في مديرتي ، وهذا العالم ثبت لي انه شتم النبي ، فلم يسعني وانا خليفة الخليفة الا تأديبه ، فأمرت بجلده جلداً عظيماً — فما كان من العلماء الا ان قالوا

من شتم النبي لا يكتفى تأديبه بالجلد ، بل لا بد من رجهه ، فقال داود باشا
ولسكني جلده جلداً مؤلماً ، واظن بعد العذاب الذي ذاقه من يدي لا يصح
رجهه ، حينئذ قال افندينا مادام ضربه ضرباً مبرحاً فليكتفى بذلك

ثم انصرفوا معلنين شكرهم وارتياحهم لما فعله سعادة المدير كما اعلنوا
امتنانهم وسرورهم من اهتمام ولي الامر بمطالبهم

ولكن افندينا وان كان ارتاح للخلاص من هذه الورطة ، الا انها
لم تخل عليه ، ولذلك بعد ان انصرف وفد العلماء ، سأل افندينا داود باشا
ما هي الحقيقة ؟ فقال داود باشا يا افندينا ، هذا الرجل بتوقعه في دفع مال
الحكومة يعطى على تحصيل اموال المديرية ، فبجلده حصلت جميع المطلوب
منه ومن اهالي المديرية ، فقال افندينا ، عظيم وخليك هكذا وكل مرة وقع
فيها مثل هذا الحادث « شتم النبي » وانتهت الرواية على ذلك

لطائف لبعض المديرين

اتذكر انه عين مدير لبني سويف احد عمد البلاد ، وكان اسمه
جابر بك ، وكان المعتاد وقفها ان يفرض على البلاد تقديم جمال لمشال قصب
الدائرة السنوية (اعني دائرة سمو الخديوى اسماعيل) لتوريده للفابريقات
فطلب من كل بلد عدداً معيناً من الجمال - فقال احد عمد البلاد للمدير -
لقد طلبت مني مائة جمل ولم يكن بيلدى ديل واحد من جمل منها ، فقال
المدير ، وانا مالي هات من تحت الارض ، فقال العمدة هو تحت الارض
فيه جمال من عمالك مدير ؟ فاغتاظ المدير واستدعى قواصه التركي وقال

له ارطن على هذا الرجل فقال له « سكرت كرتة بزافن » فهرب الرجل
وهرب المدير معه - لانه ضن انه لم يزل شيخ بلد كما كان فحصلت له رجة
الى ان وعي لنفسه

ومن ضمن نواذر هؤلاء القوم ان احدهم عند ما كانت ترد البوسته
وتقدم اليه حسب العادة يفتحها و كان كلما رأى ملفاً تابعاً لخطاب في مسألة
يمسك الملف ويمزقه اربا اربا ويحتفظ بالخطاب فكان عند ما يرى ذلك
الباشكاتب يندب سوء حظه فيقول المدير له ، هذا عفش نقش مالوش
لزوم ، ومن غير فائدة فكان يضطر الباشكاتب لان يأخذ سبت الاوراق
المهمله ويصرف وقته في البحث عن قطع اوراق الملفات

ويوجد نواذر كثيرة من هذا القبيل ولكن عهد هؤلاء لم يدم كثيراً
أما ما كان يوجد من الحكم الجاهلاء الاثراك فكانوا يعتمدون في
كل اعمالهم على الباشكاتب ولو انه كان يقع منهم مثل هذه الغلطات ايضاً
حيث عند فتح البوسته والنظر في أى امر يقول للباشكاتب - خذ هذا الورق -
هات كلام من عندك - عمل اللازم - ومن ضمن نواذر احدهم الذى كان
مديراً بالمنيا - والعادة القديمة في عنوان مديرية المنيا هو - مديرية المنيا
وبني مزار - فعند ما اراد الباشكاتب ان يمضي منه اول خطاب لنظارة
المالية قال له - يا باشكاتب ايه مكتوب في الامضاء - قال الباشكاتب مدير
المنيا وبني مزار - فقال المدير وفيه الفشن ؟ فقال الباشكاتب هناك في محلها
فقال المدير انا عارف شغلك يا باشكاتب انت مسكت الفشن اعطيته مدير
بني سويف انا عارف شغلك - انا لا اختم جواب مادام مفيدش الفشن -

فالباشكاتب لأجل أنجاز العمل وعدم التعطيل اضطر لأن يضيف في الامضاء « والقشن أيضا حسب امره » . فعند ما وصل هذا الخطاب بهذه الكيفية لنظارة المالية ، اندهش ناظرها وكان وقتها المرحوم اسماعيل صديق باشا ، واندهش اكثر منه المرحوم وهبه بك الجيزاوي المحاسبجي (باشكاتب المالية) وكان صاحب الكلمة العليا وقتها — فصدر أمر نظارة المالية تلغرافياً للباشكاتب بالحضور ولما حضر وسأله ما هذا الخلط يا باشكاتب وانت من أعظم الباشكاتب فقال ، وما ذنبي وقص عليهم الواقعة فضحك ناظر المالية ووهبه بك كثيراً ، عند ما سمعوا هذه الرواية وأخيراً استدعيا المدير وفهماه خطأه ونصحاه بأنه يتبع نصائح الباشكاتب لأنه عارف الاصول وأدرى بها فقال بك افندم

وبعد ان خرج من النظارة تقابل المدير مع الباشكاتب وقال له باشكاتب افندم ، انت زعلان فقال أبداً يا سعادة المدير ، انما الامضاء هي التي عملت كده

التنازل عن اطيان الدائرة السنوية

ومن الحوادث التي جرت في عهده أيضاً ، ان عملت مساع بمعرفة المرحوم توبار بشار رئيس الوزارة وقتها ، باقناع سموه ان يتنازل عن املاك الدائرة السنوية للحكومة ، والدائرة السنوية هي عبارة عن وزارة زراعية كانت قائمة بادارة شؤون أراضي الجنب الخديوي ، وكانت تنقسم الى تفتيش

وكل تفتيش منها لا يقل زمامه عن ستين ألف فدان ان لم يكن أكثر ،
وتلك التفتيش هي : -

أرمنت ، الضبعية ، المطاعنة ، الروضة ، ابو قرقاص ، المنيا ، معصرة
سمالوط ، مطاي ، بني مرار ، آبا ، الشيخ فضل ، مغاغة ، سلاقوس ،
الفسن ، بيا ، الفيوم ، اورمان ابو بلح ، بسنديله ، طناح

وكل تفتيش من هذه التفتيش عبارة عن مديرية ، وكان المفتشون
القائمون بهذه الاعمال ، لهم السيطرة العليا على موظفي الحكومة ، ولهم النفوذ
اللاحد له ، وكان يتبع كل تفتيش من هذه التفتيش ، فابريقه لعسير القصب
وعمل السكر ، ربما كان يقرب منها ومصاريفها لغاية ادارتها من المليون
جنيه ، ماعدا تفتيش اورمان ابو بلح ، وبسنديله ، وطناح حيث كان
لا يزرع فيها قصب

فنجح نوبار باشا باقناع الخديوى ، فى ظروف اشتدت فيها الضائقة
المالية ، وتعذر سداد الكوبون الخاص بديون الدائرة ، بأن تنازل الخديوى
عن هذه الاملاك جميعها للحكومة ، التى أخذت على عاتقها ان تديرها
بمعرفتها ، واذا عجزت ايرادها عن سداد ما هو مطلوب عليها ، تقوم الحكومة
بسداد العجز ، فى نظير ما تؤول ملكية هذه الاحيان وما يتبعها للحكومة
وتتصرف فيها كيف تشاء كانه (أي نوبار باشا) نجح أيضا فى الحصول
على تنازل أعضاء العائلة الخديوية عن أملاكهم ، المعروفة الآن بالدومين ،
للحكومة بذات شروط تنازل الدائرة السنية ، وفى نظير ذلك خصصت
لهم مرتبات يتقاضونها من الحكومة شهرياً

وقد انتهت مدة الدين الآن الخاص بهذه الاملاك وباعت الحكومة جميع أملاك الدائرة السنية للأهالي، كما أنها باعت جانباً عظيماً من أملاك الدومين أيضاً، بما زاد في ثروة الأهالي ورفاهيتهم وتحسين حالتهم المعيشية أما الفابريقات، فقد بيعت بيع التراب، حيث ان الفابريقة التي تكلفت ماينوف عن المليون جنيه، بيعت حديد خرده بمالا يزيد عن عشرة آلاف جنيه، ولم تبق من هذه الفابريقات سوى ثلاث، هي ابوقرقاص والشيخ فضل وأرمنت وهي باقية لغاية الآن وتابعة لشركة السكر

السرايات

وقد بنى اسماعيل في عهده جملة سرايات منها، سراى القبة — سراى عابدين — سراى الاسماعيليه — وثلاث سرايات بالجزيرة — وسراى الجزيرة — وقصر النهضة بشبرا — وسراى المنيرة — وسراى المنيا — وسراى الروضة

واسماعيل باشا بالاجمال، عاش عيشة ترف لم يتيسر لأى ملك ان عاش عيشة نظيرها، إلا سلاطين تركيا، وقد اغدق حسناً كثيرة على الفقراء والمساكين، وأقام منار العلم في مصر، وخدم مصلحة الزراعة أعظم خدمة، ونظم طرق الري بأحسن الوسائل، وبالاجمال فكما كان محمد على باشا هو منشيء مصر الحديثة العظيم، كذلك اسماعيل كان مصاحبها العظيم، ومبعث الخير، لها رحمه الله رحمه واسعة وجعل الجنة مثواه .

وقد انتهت مدة الدين الآن الخاص بهذه الاملاك وباعت الحكومة جميع أملاك الدائرة السنية للأهالي، كما أنها باعت جانباً عظيماً من أملاك الدومين أيضاً، بما زاد في ثروة الأهالي ورفاهيتهم وتحسين حالتهم المعيشية أما الفابريقات، فقد بيعت بيع التراب، حيث ان الفابريقة التي تكلفت ماينوف عن المليون جنيه، بيعت حديد خرده بمالا يزيد عن عشرة آلاف جنيه، ولم تبق من هذه الفابريقات سوى ثلاث، هي ابوقرقاص والشيخ فضل وأرمنت وهي باقية لغاية الآن وتابعة لشركة السكر

السرايات

وقد بنى اسماعيل في عهده جملة سرايات منها، سراى القبة — سراى عابدين — سراى الاسماعيلية — وثلاث سرايات بالجزيرة — وسراى الجزيرة — وقصر النهضة بشبرا — وسراى المنيرة — وسراى المنيا — وسراى الروضة

واسماعيل باشا بالاجمال، عاش عيشة ترف لم يتيسر لأى ملك ان عاش عيشة نظيرها، إلا سلاطين تركيا، وقد اغدق حسناً كثيرة على الفقراء والمساكين، وأقام منار العلم في مصر، وخدم مصلحة الزراعة أعظم خدمة، ونظم طرق الري بأحسن الوسائل، وبالاجمال فكما كان محمد على باشا هو منشيء مصر الحديثة العظيم، كذلك اسماعيل كان مصاحبها العظيم، ومبعث الخير، لها رحمه الله رحمه واسعة وجعل الجنة مثواه .



سمو الخديوي توفيق باشا

١٩٠٤

في عهد

المغفور له الخديوى توفيق

جلس الخديوى توفيق على كرسي الخديوية المصرية، بعد عزل ابيه وكان متحلياً بأخلاق التواضع والبساطة، بعيداً عن جميع عظمة التظاهر، يميل بطبيعته للجبر اكسوة والترك، وكان محبوباً عند الامة المصرية لشجائله الرقيقة وكان في عصره كما كان في عصر ابيه، تلقى مقادير الحكم على واحد من ثلاثة وزراء وهم رياض باشا وشريف باشا ونوبار باشا، ولكل منهم مزايا عظيمة لا يجب نخسها. وخدم جليلة قام بها البلاد يجب الترنم بذكرها، وفي اعتقادي ان مصر لم توهب رجلاً من عهد الخديوى اسماعيل لغاية الآن أقدر وأعظم من هؤلاء الثلاثة، فرياض باشا كان شغوفاً بحب الوطن لا يعرف المال، كما شريف باشا، تخشاه الامة عن بكرة ابيه وجميع الوزراء والحكام والاوروبيين كبيراً وصغيراً يعملون له حساباً حتى كرومر مع عظمتهم وكبر تقوذه المعروف، كان يهابه جداً ويتحين الفرص التي يكون رياض فيها منشراح الصدر والخاطر فيطلب ما كان يود طلبه منه. وما نقوله هنا عن رياض باشا، نقوله بالذات عن شريف باشا ونوبار باشا، ورياض باشا معروف في جهة مواقف، فانه في عهد الخديوى اسماعيل حينما كانت تطاوى رؤوس الامراء والنظار أممه، وقف في وجهه وحدد بخصوص جهة اعمال كان يعتقد أنها في غير مصلحة الوطن. وما فعله مع اسماعيل فعل اضعافه مع توفيق، ومنعه من التدخل في ترشيح المستخدمين. ومن اعطاء الراتب

والنياشين ، ومن أمور كثيرة كان يعتقد أنها ليست في مصلحة الوطن -
وقرر أن يكون ذلك بناء على طلب مجلس النظار ، ورياض باشا مارفت ولا
عزل من منصبه بأمر الحاكم مطلقاً ، بل هو الذي كان يستقيل من منصبه
مراراً عند ما كانت الأحوال تسير على غير مبدئه ، ماعداً ما حصل في المسألة
العرايية ، ومع ذلك كانت تضطر الحكومة لاستدعائه لاستلام زمامها مرة
بعد المرة ، وكان هو علاجها الوحيد لحل مشكلاتها ، وإذا أردت أن أعد
الخدم التي قام بها رياض باشا للبلاد ، لا تحتاج الحال لمجد مخصوص ولذلك
اكتفيت بالتبويه العام لذكر فضل هذا الرجل العظيم

وانرجع الآن حديثنا بذكر الخديوي فنقول - قد حصلت في عهده
المسألة العرايية والبعض يسميها « الفتنة العرايية » ولكني اسميها « بالحركة
الوطنية » وأخالف كل الذين يسمونها « فتنة أو عصياناً » أو نحو ذلك
وسأشرح مع الاختصار التام تلك الحركة

كان المبدأ المتبع في عصر لغاية ذلك الوقت ، أن جميع الوظائف تقلد
للاتراك والجرأكسة . وكل من جاء من البلاد العثمانية سواء كان تركيا
أو جر كسياً أو أرنووطياً كينما كان من كبيرها لصغيرها ، وكانت تقريباً
في مقام التحريم على أهالي البلاد قاطبة

ظلت هذه الحالة سائرة في عهد جميع الخديويين ، ماعداً حالة واحدة ،
لغرض خاص ، قضت رغبة الخديوي اسماعيل لربط ضريبة جديدة ، سميت
ضريبة « المقابلة » فستخدم لجبايتها بعض أهالي البلاد ، بوظائف حكام
للاستعانة بهم على تحصيل تلك الضريبة بصفة مؤقتة ، وبعدها عزلوا كما

ذكرنا ذلك في الحوادث التي حصلت في عهد سمو الخديوي اسماعيل — ولكن العسكرية لما كانت من أهالي البلاد، قضت الضرورة اضطراراً أن تعطى بعض وظائف من الوظائف الثانوية لابنائها، وأما الرؤوس والقواد الكبار كلهم، فكانوا من الترك والجزا كسة، وكان هؤلاء يعاملون معاملة استثنائية في كل شيء وكانوا يعاملون العساكر والضباط الوطنيين بجميع انواع القسوة والاستعباد والتحقير الذي ليس بعده تحقير — فنتج من ذلك انفجار عظيم، وتدمير شديد عند الضباط والعساكر الوطنيين، ترتب عليه جمع كلمتهم، والاتفاق فيما بينهم على أن يطالبوا الحكومة بدون تردد بمعاملتهم مثل معاملة الجزا كسة والترك مهما تأتى لهم من ذلك، ولا يرجعون التهقير حتى يتوصلوا لمطالبهم، وعهدوا برئاسة عمالهم للامير الای عرابي بك، ولكن قبل الشروع في العمل أخبروا جميع أفراد الجيش بعزمهم، ما عدا القواد الجزا كسة طبعاً وامثالهم، فخل هذا لدى الجميع محل القبول والاستحسان، مزوداً بالوعد ان يكون الجيش رهبن اشارة القائمين بالحرکه، فبعد أن نالوا ثمة الجميع، وتم الاتفاق منهم على ما يرضون شرعوا أولاً في تقديم عريختين احدهما لسمو الخديوي توفيق والثانية لرياض باشا الذي كان وقتها رئيس مجلس المنظر وناظر المالية والداخلية والمعارف العمومية — فرياض باشا مع مدغم معروف من حدة طبعه وتأثر لسريع من المسائل الشاذة، قابل هؤلاء بغاية لرفقة، ووافقتهم كل الملائمة، ووعدهم بالنظر فيما يطالبون فالنصرفوا على وعد أن يعودوا بعد ثلاثة ايام، لاخذ جواب دولته وبعد انصرفهم أخذت الناس تتحدث، حتى هم أنفسهم

عن حلم رياض الكبير ، الذي أظهره خلافاً لعاداته في كل المسائل ، ويفسرون ذلك جملة تفاسير ، ولكن كلهم ضلوا عن سواء السبيل ، وحقيقة الامر ان رياض باشا عند ما وقع نظره على العريضة وما فيها ، قال في نفسه لقد خرج الجيش من يد الحكومة ، وهذا سيكون سبباً لخراب البلاد ، فأراد ان يعالج المسألة بسياسة حكيمة مما يدل على بعد نظره ، بأمل اصلاح الحالة وكسب الجيش للحكومة وكان ذلك متيسراً لولا الدسائس التي طرأت ، كما سيأتى البيان

قلنا ان الوفد الذي رأسه عرابي في تقديم العرايض قدم عريضتين ، احدهما لرياض باشا ، والثانية للخديوي ، فعريضة الخديوي لم يقف على أثرها أحد ، والاغلب انها مزقت ورميت في سبت الاوراق المهمة ، واما عريضة رياض باشا فقد حملها دولته وقدمها للخديوي ، وبعد ان تلاها الخديوي بأمعان ، وجه الكلام الآتي لرياض باشا فقال : - وهال رياض باشا بكل أهنته ونفوذ ، تأثر واكثرث باقوال هؤلاء ، حتى انه جعل للامر أهمية لدرجة انه هو بنفسه حمل العريضة واتى لي بها ، أنا رأيي يارياض باشا ، طرد هؤلاء وعدم الاهتمام بهم

فقال رياض باشا ، مولاي ، المسألة ليست مسألة فلاحين ولا ترك ، انما المسألة مسألة الجيش ، فاذا ضاع الجيش من يدك ضاعت البلاد منك فأرجو من افندينا ان يمعن النظر في الامر ويعطيه ما يستحقه من الاهمية ، المسألة كبيرة جداً ، واخشى بسببها ضياع البلاد وخرابها

فقال الخديوي - ما انت رياض باشا الذي أعرفه أنا وغيري ، جيش



عراقي باشا

ش. المقتطف

ايه وبلاد ايه ، كل هذا يرد في فكرك يا رياض باشا من قبل جماعة مثل هؤلاء ؟ فقال رياض باشا — أني اترك أفندينا يفكر في الأمر يومين أو ثلاثة وسأعود للحديث معه جديداً وليعلم مولاي ان فكركي هو هولا يتغير

وترك رياض باشا الخديوي ، وظل الخديوي مصرأعلى فكره . وفي اليوم الثالث حضر الوفد لمنزل رياض باشا وسأله عن الجواب ، فقال رياض باشا ، أنه عرض الأمر على الخديوي ، ووعد بالنظر في المسألة ، وسيعود لمقابلة الخديوي اليوم للبت في الأمر ، وبعد ذلك يفيدهم ، ويتعشم هو المسألة حسب رغبتهم وأماهم ، واستعمل معهم اللين والملاطفة اللذين استعملها معهم في المرة الأولى ، وفعلاً بعد انصرفهم ، توجه لمقابلة الخديوي وحديثه في الأمر فكان جواب الخديوي هو ذات الجواب والسكلام الذي قاله في أول الأمر ، فقال رياض باشا : لا حل للمسألة يا أفندينا إلا في أحد أمرين ، أما أن أفندينا يجيب طلباتهم ويطيّب خاطرهم بمعنى تموت هذه الحركة . وأما إذا كان مصرأا اصراراً على عدم اجابة مطالبهم فيأمر باعدامهم ، وبدون اجابة احد هذين الطلبين فنحن امام تهديد كما قلت لا أفندينا يقتضي بخراب بل ضياع البلاد ، فقال الخديوي ، لا اجيب طلباتهم ولا آمر باعدامهم ، وهم في نظري لا شيء . ولا داعي للاهتمام بهم ، فتركه رياض باشا . وبعد ما انصرف رياض باشا من السراي ، وصلت اخبار للعراقي من الثور بأن رياض باشا حضر عند أفندينا وعرض على مسامحة اعدامه هو وزملاءه رمياً بالرصاص . فالخديوي رفض وتفر من هذا الخطاب . فقام وبعد عراقي

لهذا الأمر هو وزملاءه ، وتوجهوا في الحال لمنزل رياض باشا ، وقالوا له يا باشا استنجدنا بدولتكم لتساعدونا على نوال مطالبنا لأننا نطلب اعدامنا، فما هذا الأمر يا باشا ؟ فقال لهم ، كل ما بلغكم من هذا القبيل لا صحة له ، وبينني وبين الخديوي موعد اليوم للبت في هذا الأمر ، فطمنوا خاطرهم واعلموا أنني في جانبكم ، فقالوا نشكر الباشا ونحن على كل حال لا نريد موعداً آخر غير هذا اليوم تنتظر فيه الجواب النهائي ، فقال لهم ، اتعشم ذلك فتركوه وذهبوا — وهو في الحال قام الى السراي واستخدم خدمته المعروفة مع الخديوي ، لأنه اعتمد ، ان سموه هو الذي اوعز اليهم بتلك الاخبار ، وفي أثناء ذلك حضر عثمان رفيق باشا ناظر الحرية فقال — الناظر المذكور — المسألة التي نخشاها دولة الرئيس ضعوها على عهدي وانا الى كنيبل بحلبها ، فقال رياض باشا وهو كذلك ، وعلى ذلك وضعت المسألة وحدها بين يدي ناظر الجهادية ، فماذا فعل سعادة الناظر ؟

قام من لندن الجناب الخديوي وتوجه لاديوان الحرية ، وكان اذذاك في قصر النيل ، وطلب عرابي وزملاءه : فأجابوا الطلب في الحال ، وتوجهوا الى سعادته ، وبمجرد وصولهم لاديوان الجهادية : قابلتهم هيئة عسكرية من قبل ناظر الحرية وبادرتهم بالقول « انزعوا سيوفكم وسلموها لنا » فقالوا ماذا فعلنا حتى تنزع منا سيوفنا ؟ فقبل لهم « هكذا أمر ناظر الحرية » فقالوا أمر ناظر الحرية مطاع ، وخلعوا سيوفهم وسلموها فقبل لهم بعد ذلك « تمنعوا » فقالوا الى اين فقبل لهم (الى السجن) فقالوا وماذا ؟ فقبل لهم (هكذا أمر ناظر الحرية) فقالوا أمره واجب الطاعة

وتوجهوا الى السجن ، ولا تسأل عن الفرع والابتهاج ، الذي دخل على قلب عثمان رفيقي باشا ناظر الحرية ، عندما امكنه التمكن من نزع سيوفهم ووضعهم بالسجن ، ولكن هذا الفرع لم يدم بعض دقائق ، اذ ما وصلت أقدام عرابي وزملاءه سجن الحرية ، حتى حضرت الآليات كالطير السائل من العباسية وخلافها ، بجميع معداتها من ذخيرة ومدافع ونحو ذلك ، وحاصرت نظارة الحرية لتقصد الانتقام ، ونجاة الامير الآليات المسجونين . فارتجت لذلك نظارة الحرية رعباً وخوفاً ، وهرب ناظرها بواسطة القاء نفسه من احدى نوافذ النظارة الى نهر النيل ، ولولا هذه الطريقة لما نجت حياته ، ودخل الجيش النظارة ، وحطم أبوابها ، وأخرج الضباط الذين وقعت عليهم الاهانة ، فتمادوا الجيش برعامة عرابي الى سراي عابدين ، وحاصروها ووجهوا اليها المدافع ، وطلبوا اما اجابة مطالبهم في الحال ، واما هدم السراي على من فيها ، فما كان من الخديوي سوى الامتثال والطاعة ، لكل رغائب الجيش ، وكان ضمن طلباته ، عزل الضباط الجراكسة والأتراك واستبدالهم بمصريين — وتشكيل مجلس عسكري محاكمة ناظر الحرية مع سجنه رهين التحقيق معه عما وقع منه — وعزل رياض باشا من خدمة الحكومة — تشكيل مجلس نواب بمعنى الكلمة ينظر في شؤون البلاد — وتشكيل نظارة مسؤولة امام المجلس المذكور برئاسة شريف باشا . هذه كانت طلباتهم التي طلبوها وهم محاصرين للسراي ، فجيبتم جميعها ، وصدرت بها الدكرات ، في الحال قبل قيام العساكر والمدافع من ساحة عابدين ، وشرع في تنفيذها باجمعها — وهذه هي المرة الوحيدة التي

عزل فيه ارياص باشا من خدمة الحكومة، لانه في كل المرات كان هو الذي يستقيل بنفسه

والرجال ذو فضل عظيم على منساجة البلاد، وقد قصد بعض المؤرخين تشويه سيرته عمداً، وأقصد بالذكر منهم، المرحوم ميخائيل بات شاروبيم، وذلك لحقد في نفسه، بسبب غضب رياض باشا عليه، وعزله من خدمات الحكومة، فكل ما قاله هذا المؤرخ عن رياض باشا، هو بعيد عن الحقيقة، ومسطور عن غل ليس الا، ومن باب العدل والا نصادف. وذكر الحقائق كما هي، اردت التنويه عن ذلك.

بعد ذلك ابتدا الجيش، أن يسير في جملة اصلاحات، منها تنظيم الجيش المصري، ومنها تشكيل مجلس النواب من أعظم أعيان ومفكرى البلاد، وتعين رئيساً له المرحوم سلطان باشا، وتشكلت نظارة يرأسها شريف باشا وعين فيها عرابي ومحمود باشا البارودي نظاراً، فلم تدم طويلاً وسقطت. واعقبتها نظارة محمود باشا البارودي ودامت وقتاً من الزمان وسقطت، وكان في أثناء هاتين النظارتين، يسير الجيش بجهد واجتهاد في اصلاح شؤون كثيرة وطنية، واصبحت الكلمة بعد ان كانت للجراكسه والسراري، للجيش الذي صار جيشاً وطنياً بالمعني الصميم، والتفت حوله قلوب أهالي البلاد وعنته.

وكانت هذه الحركة، أول حركة وطنية أيقظت اهالي البلاد من سباتهم، وعامتهم المطالبة بحقوقهم، بعد أن كانوا أذلاء خاضعين. وبعد ذلك تشكلت نظارة برئاسة عرابي باشا. وبدأت أن تتغالى



محمود سامي باشا البارودي

في الامور، ودخلت في نفسها المصامع الشخصية، فانمايت الحركة الوطنية من
لونها الجليل، الى فتنة داخلية.

وفي ذات ليلة، توجه العراقي ومعه كبار الضباط منزل المرحوم
سلطان باشا الذي كان رئيساً لمجلس النواب -- وظلوا منه عقد المجلس في
الحال، فقال لهم الرئيس، ان دورا اعتاد المجلس ان ياتي، وبحسب القانون لا يمكن
جمعه وعقده، الا بذكر يتو خديوي اذا كان هناك امر هام جداً، فما هي
الحالة الهامة التي لديكم حتى يمكن ان استصدر ذكر يتو بعقد المجلس؟
فاجاب الباشا في الحال، ضابط برتبة بكباشي اسمه عبيد افندي، واخرج
سيفه من جرابه وقال: وحياة سفي هذا ان تأخر اعتماد المجلس في هذه
الليلة ولم تجب طلباتنا لا قطع رقاب الحاضرين -- فجز المرحوم سلطان
باشا بهذا الكلام وضحك قائلاً للعراقي: اتمش هذا يا عراقي تحكيم مصر،
واظهر الباشا غضباً عظيماً، فاعتذر العراقي للمرحوم سلطان باشا هو
وكل من معه من الضباط، واظهروا له الاحترام والجماعة، ووردوا في الحال
من المجلس عبيد افندي، واخيراً اختلى سلطان باشا بالعراقي وقال له:
ما قصدكم من اجتماع المجلس؟ فقال العراقي اصدار قرار بنزع الخديوي، فقال
له الباشا: وهل الخديوي معين بامر المجلس او بقرار من الامة المصرية؟
فقال العراقي: هذا لا يهمنا بل يهمنا ان نواب الامة يصدر قراراً بعدم
رجائه عنه ويقررون خفه قتل الباشا. هي اننا اتفقت على ذلك فليس
انقمم فيما بينكم ممن سيكون ختلاً للخديوي فسكت العراقي. فقال له الباشا:
اجتمعوا بمنزلكم، وقرروا فيما بينكم من تريدون ان يكون خديويًا وحين

ذلك لو اجتمع المجلس وقرر اجابة طلبكم ، فيكون قرار الخلع شاملا ، قرار تعيين الخلف ويكون الخديوي الجديد موجودا حاضرا للجلوس على كرسي الخديوية فاستحسن العرابي هذا الرأي ، معتقدا انه لا يمكن احد ان يرشح نفسه سواه للخديوية على ان المرحوم سلطان باشا كان معتقدا كل الاعتقاد ، بعدم نجاح ذلك نظرا للمزاحمة بين جميع ضباط الجيش المصري ، وكل منهم كان يعتقد انه احسن واليق من الآخر ، ولذلك لم يجد سلطان باشا احسن حيلة للتخلص من هذه الورطة ، سوى الفكرة التي ابداهها ، وقد تمت احلامه ، اذ لما عقد العرابي مجلسا بمنزله من الضباط والاعيان ، للنظر في هذه المسألة ، وقع خلاف كبير بين الجميع ورشح كل منهم نفسه ، وعلى الاخص كثير التزاحم من المرحوم محمود باشا البارودي مستندا على أنه من سلالة سلاطين مصر القدماء ، فضاعت بذلك كل أحلام وآمال العرابي ، فصرف المجلس بطريقة لطيفة ، وقصد في الحال للمرحوم سلطان باشا شاكرا ممتنا لسعادته ، قائلا له لو تم أخذ القرار بخلع الخديوي وأردنا تولية خديوي منا بعد ذلك ، لوقع بيننا شقاق ، ربما كان يؤدي الى مذبحه ، فنحمد الله على وقوفنا عند هذا الحد ، فانسر سلطان باشا سرورا عظيما لخلاصه من ورطة ليس من اختصاص المجلس النظر فيها من جهة ، ولنجاحه فيما دبره من جهة أخرى ، على أن هذا لم يمنع العرابي ولا زملاءه من تفتانهم في المطامع ، واستحوذهم على كل نفوذ وسلطة في جميع المصالح والأعمال ، مما قاب كيان الحركة الوطنية النافعة ، الى فوضى وخلل عام ، وخاف الخديوي على حياته وعرشه ، فقام للاسكندرية واستنجد

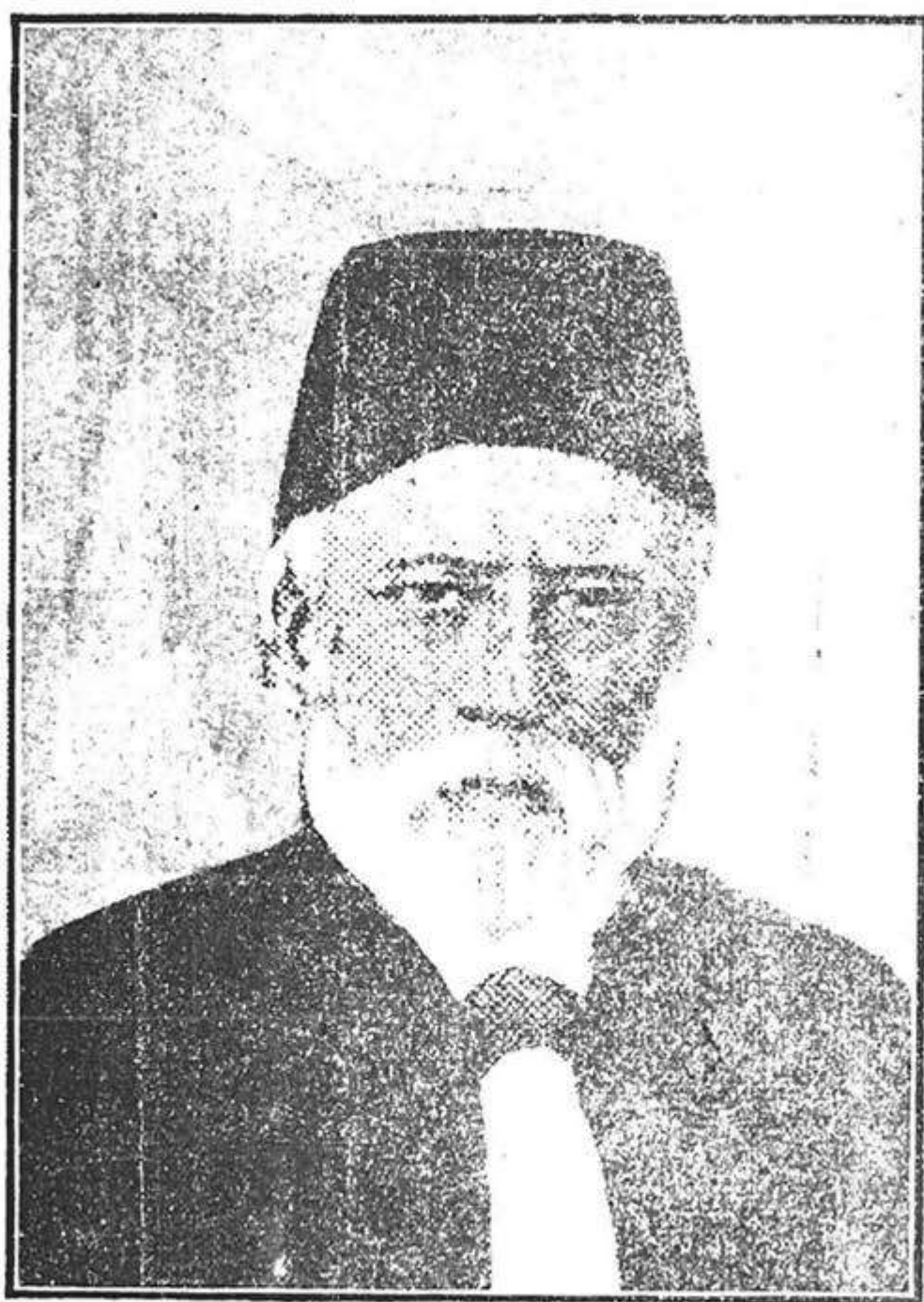
بدولة بريطانيا، فلما علم بذلك العرابي أعلن خيانة الخديوي للبلاد، ولم يعتبر
النظارة القائمة بأمر الخديوي أنها ممثلة للحكومة المصرية، بل أنها نظارة تمثل
الخديوية، وشكل نظارة بأمره، وعزل كثيرين من المديرين والحكام. وولى
بدلاً عنهم أشخاصاً من الموالين له، ونفذ كل ذلك بقوة الجيش، وأصبحت
النظارة مشغولة بالأيدي لا بعمل لها، واستمر عرابي يدير الحركة العامة
كخديوي مطلق الحرية إلى أن دخلت الانكسار. وكانت قد عرضت
على فرنسا الاشتراك معها في العمل لقمع هذه الفتنة، وتوطيد أركان
الامن في البلاد فتمنحت فرنسا عن ذلك لسان المسيودي فريسينيه وزيرها وقتها،
وكان لرفضها هذا فرحاً وسروراً لدى الانكليز لأنهم وإن كانوا اضطروا
لعرض الامر عليها، بالنسبة لاشتراك مصالح الدولتين، الكبرى، بمصر إلا
أن في الحقيقة كانت الدولة البريطانية تؤيد من صميم قواها الانفراد بالعمل،
وتم لها ما كانت تتمناه، على أن فرنسا رجعت فندمت ندماً شديداً ولكن
ليت حين مناص، لأن الفرصة كانت قد ضلت وقضي الامر، ودخل الانكليز
مصر، واحتل جيشهم البلاد، وقبضوا على عرابي وزملائه وسجنوهم
وعمل معهم تحقيقاً، وحكم عليهم بالاعدام، وتعديل الحكم بالنفي إلى سيلان
مما شرحه المؤرخون والكتاب كما هو معلوم

وكان الخديوي عند دخول الانكليز مصر وقضائهم على هذه الفتنة،
كان مقيماً بسرأي رأس التين بالاسكندرية، فلم يرغب الدخول بمدينة
القاهرة إلا بعد أن يعود إليها رونقها ونظامها، الذي أفسده العرابيون في آخر
عهدهم، حيث جعلوها كقلعة حرب، وكستشقي مرضى الحرب، مما شوه

منظرها ، وأزال بهجتها ، فعين المرحوم سلطان باشا نائب خديوى ، يقيم بمصر ،
لاصلاح ما فسد فيها ، مع قيامه بجميع شؤون الحكومة حين ما تشكل
نظارة تتسلم زمام الاعمال ، وفعلا تم ذلك الى أن استدعى رياض باشا من
أوروبا وشريف باشا ، وتشكلت نظارة برئاسة شريف باشا ، وجعل رياض باشا
فيها وزيراً للداخلية ، ودخل الخديوى على يدها مصر معززاً مكرماً
شاكراً لما قام به سلطان باشا من الاعمال

وقد وضع نظام تسير عليه البلاد المصريه بإشارة من دولة بريطانيا ،
كلف بوضعه المسيو دفرين باشتراك المرحوم شريف باشا ، وكان الخارس
الامين على هذا النظام وتنفيذه ، ذلك الرجل العظيم ، المقتدر العادل ، اللورد
كرومر ، فانه والحق يقال ، كان حاكماً ، وحارساً أميناً ، وقاضياً عادلاً ، ومنظماً
حكيماً ، شديد البطش عند الحاجة ، وديعاً في موضع الوداعة واللطافة ، وقام
بجملة خدمات عظيمة للبلاد وأهلها ، وحمى الضعيف من القوى ، ودافع عن
حقوق المساكين الذين لا سند لهم ، مما خلده ذكراً لا يمحي ولا ينسى ،
عند مصر والمصريين

وبهذه المناسبة قد عزانا ابن العرابي ، أعمالاً للمرحوم سلطان باشا غير
صحيحة ، فعلى سبيل الاختصار وعدم التطويل ، في الشرح والبيان ، نكتفي
بنشر ما سبق نشره منا على صفحات الجرائد ، رداً على ما نشره في حق
المرحوم سلطان باشا



محمد سلطان باشا

المرحوم سلطان باشا (١) والمرحوم عراي باشا

للحقيقة والتاريخ

قرأت في جريدة المحروسة الغراء الصادرة في يوم الاربعاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٣ مقالا بأعضاء حضرة عبد السمیع بك عراي لا تعرض لشيء مما جاء فيه سوى المسألة الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ذكر حضرة صاحب الرسالة ، انه كان لا يود أن تنتج أمامه مسألة مؤلمة ، كالمسألة الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ، ولكن اضطرر للمقام بأن يذكر معلوماته فيها ، فقال بطريق الاجمال ، ان سلطان باشا كان من رؤساء الحركة الوطنية ، وكان يظن انه يستطيع بمواهب عراي وقوة الجيش ، الحصول على رئاسة البرلمان ، ومن ثم تتم له زعامة الحزب الوطني ، بما له من مميزات الغنى والجاه ، فأيد عراي في جميع الاحوال ، الى ان فازت الامة بالجلس النيابي ولكنه لما رأى ان الامة تتحدث باسم عراي ، بكل اعجاب وثناء ، تسرب الحسد الى نفسه ، ولما تشكلت وزارة محمود باشا سامي ، كان يطمع أن يكون فيها وزيراً ، فلم يتحقق امله ، وعلى ذلك أخذ سلطان باشا يفضل أعضاء مجلس النواب وغيرهم ، وينفرهم من عراي ويغريهم بالتخلي عنه ، ولكنه لم يفر ، لأن

(١) هذه الرسالة نشرت بجريدة المقطم الغراء بالعدد ١٠٥٦٠ الصادر بتاريخ

٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٣

الامة بكل طبقاتها كانت في جانب عرابي باشا الى النهاية الى آخر ماجاء
برسالة عبد السميع بك في هذا الشأن

فاستسمح حضرة عبد السميع بك العرابي، بأن أعلم حضرته، أن كل
ما ذكره عن المرحوم سلطان باشا في هذا الصدد، لا يطابق الواقع، وقبل أن
أقدم الادلة على صحة ما أقول، اذكر للجمهور أولا الاسباب التي دعت
لقيام الحركة العرايية فأقول : —

ان منشأ الحركة العرايية كان مسببا عن الظلم والجور، اللذين
لحقا بضباط الجيش المصريين، من الاتراك والجرأكسة، حيث كان في ذلك
الوقت، يوجد شبه احتلال تركي جر كسي للبلاد عموما، وكان مسيطرا على
جميع المصالح العسكرية والملكية، بحيث كان لا يسمح لأي ضابط مصري،
مهما كانت مواهبه. أن يتعدى رتبة اميرالاي، فأوجب هذا تدمير الضباط
المصريين، مما ترتب عليه قيامهم وتعاهدهم بعضهم مع بعض، على القيام بحركة
مهما كانت نتيجتها، ضد هذا الاحتلال التركي الجر كسي، هذا هو الاساس
الذي قامت من اجله الحركة العرايية. ولما كان البروجرام المعمول لها، يشمل
أيضا طهارة المصالح الملكية من الموظفين الاتراك والجرأكسة، انضم اليهم
كثير من اعيان البلاد وكبرائها، وأخذ بناصرهم المرحوم سلطان باشا بما كان
له من النفوذ الكبير والسلطة العالية. وانا كنت من الملازمين للمرحوم
سلطان باشا في جميع ادوار الحركة العرايية، كما انني كنت صديقا حميما للمرحوم
عرابي باشا وكثيرين من الضباط العظام، الذين اشتركوا معي في هذه المعركة
الوطنية — وأني أريد في هذا المقام، أن أذكر وقائع تاريخية حضرتها بنفسى

وهي مطابقة للواقع، مجردة عن كل غرض وغاية، اللهم إلا خدمة الحقيقة والتاريخ
أنا لا أنكر أن عرابي باشا قام في بدء الحركة الوطنية، بخدمات عظيمة
جداً تعبر عن اخلاص تام للوطن وتشرف القائمين بها. وهكذا كان مبدأ
الحركة وهكذا نظر الجميع اليها، ولكن حصل رد فعل تسبب عن سكرة
النجاح الباهر، مما أدى الى التموضي والفشل كما سيأتي بيانه

وقبل أن أتسكلم رداً على الأقوال الخاصة بالمرحوم سلطان باشا،
أذكر أولاً مركز سلطان باشا الادبي من حيث هو

فسلطان باشا كان يشغل مركز حاكم الصعيد العام، تخضع لأوامره
كل حكام الاقاليم القبلية، وعمد تلك البلاد وأعيانها وأهاليها خضوعاً تاماً،
وكان ذا جاه عريض جداً وسلطة واسعة، فمن هذا يعلم انه لم يكن في احتياج
الى جاه غيره ليتوصل الى مركز عال. ولما بدأت الحركة العرابية ورأى
من مبادئها خدمة للبلاد، انضم اليها بكل تفوذه، وعضدها بكل قواده، لا حباً
بوظيفة - لأنه كان يشغل أعظم المراكز - بل حباً بخدمة البلاد التي كان
يتفانى في خدمتها، واستفلالها استقلالاً تاماً من سيطرة الاتراك.

هذا مادعاه الى الانضمام الى الحركة العرابية، لا كما يقول حضرة
صاحب الرسالة، انه كان يقصد الحصول على رئاسة مجلس البرلمان. لأنى
أجل سلطان باشا عن هذا الأمر تماماً، ومن عرف سلطان باشا كما عرفته
أنا، يعلم انه كان الرجل الوطني الصميم الذي خدم بلاده أجل الخدم. بل
ربما لم يوجد مصري خدم بلاده مثله.

وعندما ألف البرلمان، انتخبته أمانة رئيأساه، ولا يعقل ان الذي يتفقد

وظيفة رئيس البرلمان ، يطمع في أن يكون وزيراً في وزارة محمود باشا سامي ، كما يقول حضرة صاحب الرسالة ، لأن وظيفة رئيس البرلمان فوق وظيفة رئيس الوزراء ، وقول عبد السميع بك نفسه أن سلطان باشا ، كان صاحب سلطان وتنفوذ وجاه ، ينفي قوله أنه أراد أن يستعين بتنفيذ وجه العرايين للحصول على وظيفة وزير ، لأن تنفذه كان عالياً وعالياً جداً إلى النهاية بحسب مركزه الأدبي ، والمراكز الحكومية التي شغلها .

وبعد أن اتجهت أنظار العرايين ، إلى محاربة الجراكسة والأتراك واستقاطهم ، وبالفعل حصلوا على ذلك وعلى أكثر منه . إذ أمكنهم بقوة الجيش الحصول على تأليف برلمان وسن عدة قوانين لمصلحة البلاد — وبعد ذلك اتجهت أفكارهم إلى محاربة الخديوي شخصياً ، وطمحت أبصارهم إلى الاستيلاء على العرش ، واذكر اني كنت مع المرحوم سلطان باشا في سرايه ذات يوم ، واذا عرابي باشا قد حضر ومعه عدة ضباط من الجيش وطلبوا منه عقد البرلمان في الحال ، فقال ان مدة انعقاد البرلمان انقضت والقانون يقضي أنه اذا حدث أمر خطير ، يستوجب انعقاد البرلمان بطريقة استثنائية ، يلزم استصدار أمر عال بذلك ، فخبروني ماهو الأمر المهم الذي حدث حتى يستوجب عقد البرلمان ؟ فكان جوابهم بشدة وعنف بل بتحكم ، ليس هناك داع لصدور أمر عال بانعقاد البرلمان ، بل يجب عقده بناء على طلبنا في الحال ، فقال وماهو الموضوع الذي تريدون أن تتكلموا فيه فقالوا ، عزل الخديوي ، فقال لهم ، وهل الخديوي تعين بأمر البرلمان المصري حتى يقرر عزله ؟ فقالوا لا نريد أن نسمع مناقشة بل نريد ان تفعل ما نشاء ،

فقال لهم وهل رشحتكم . من يخلفه حتى يكون قرار البرلمان بالعزل شاملاً لتعيين الخلف ؟ وكان عرابي ينتظر من الجميع أن يقولوا أن الخلف عرابي ، ولكن لم ينطق أحد منهم بذلك بل بعد أن تداولوا فيما بينهم ، قالوا أننا نؤجل البت في ذلك الى الغد . وفي هذه الليلة نقرر من يكون الخلف وعلى ذلك تأجل انعقاد البرلمان الى اليوم التالي ، حتى يتم الامر بينهم على اختيار من يريدون ، وانصرفوا من سراي سلطان باشا على هذا الوجه ، وقصدوا منزل عرابي باشا ، وعقدوا اجتماعاً في منزله من جميع الضباط العظام ، للمداولة في من يكون خلفاً للخديوي ، فاشتد الهرج بينهم في تلك الليلة ، فقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي ، اني أنا اولى بالملك ، لاني من سلالة ملوك . وقال عرابي باشا ، ولكنني رئيس الحركة الوطنية وموجدوها ، وقال آخرون غير ذلك ، الى أن قال المرحوم طلبة عصمت باشا « لكل منا اعمال عظيمة في هذه الحركة ، فيجب ان نعامل كلنا بالسواء ، بلا تمييز واحد على الآخر ، فيحسن أن نجعل كل مديرية خديوية ، قائمة بنفسها ، وكل منا يكون خديويها لها » . وحينذاك يش عرابي باشا واستحسن من البعض ان تبقى الحالة كما هي عليه الآن ، ويبقى الخديوي في مركزه الى فرصة أخرى ، وبعد ذلك توجه عرابي باشا الى سراي المرحوم سلطان باشا ، وشكر سعادته على نظره البعيد ، وعدم تسرعه باجابة طلبهم ، اذ لو اجاب لطلب خدمت معركة دموية بينهم بسبب التزاحم على مركز الخديوية .

نظر سلطان باشا الى كل هذه الاحوال ، ورأى ان الخدمة التي كان ينتظر تأديتها للبلاد من العرابيين ، ظهر عكسها ، حيث تحركت النظام

فقال لهم وهل رشحتكم . من يخلفه حتى يكون قرار البرلمان بالعزل شاملاً لتعيين الخلف ؟ وكان عرابي ينتظر من الجميع أن يقولوا أن الخلف عرابي ، ولكن لم ينطق أحد منهم بذلك بل بعد أن تداولوا فيما بينهم ، قالوا أننا نؤجل البت في ذلك الى الغد . وفي هذه الليلة نقرر من يكون الخلف وعلى ذلك تأجل انعقاد البرلمان الى اليوم التالي ، حتى يتم الامر بينهم على اختيار من يريدون ، وانصرفوا من سراي سلطان باشا على هذا الوجه ، وقصدوا منزل عرابي باشا ، وعقدوا اجتماعاً في منزله من جميع الضباط العظام ، للمداولة في من يكون خلفاً للخديوي ، فاشتد الهرج بينهم في تلك الليلة ، فقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي ، اني أنا اولى بالملك ، لاني من سلالة ملوك . وقال عرابي باشا ، ولكنني رئيس الحركة الوطنية وموجدوها ، وقال آخرون غير ذلك ، الى أن قال المرحوم طلبة عصمت باشا « لكل منا اعمال عظيمة في هذه الحركة ، فيجب ان نعامل كلنا بالسواء ، بلا تمييز واحد على الآخر ، فيحسن أن نجعل كل مديرية خديوية ، قائمة بنفسها ، وكل منا يكون خديويها لها » . وحينذاك يش عرابي باشا واستحسن من البعض ان تبقى الحالة كما هي عليه الآن ، ويبقى الخديوي في مركزه الى فرصة أخرى ، وبعد ذلك توجه عرابي باشا الى سراي المرحوم سلطان باشا ، وشكر سعاده على نظره البعيد ، وعدم تسرعه باجابة طلبهم ، اذ لو اجاب لطلب خدمت معركة دموية بينهم بسبب التزاحم على مركز الخديوية .

نظر سلطان باشا الى كل هذه الاحوال ، ورأى ان الخدمة التي كان ينتظر تأديتها للبلاد من العرابيين ، ظهر عكسها ، حيث تحركت النظام

الشخصية في نفوسهم ، فقال لهم اما الآن وقد تحصلنا على دستور للبلاد
ووضعنا قواعدا اساسية لسير الاحكام فيحسن بالجيش المصري ان يقف عند هذا
الحد لأن الاجانب قلقون جدا من العسكرية الدائمة ، فلم يرق هذا القول
للعرايين ، وعدوه خيانة من المرحوم سلطان باشا ، ولم يعاوا بنصيحته ، بل
ظلوا مستمرين على تهديد العرش ، مما استوجب مخاوف الخديوي ، فاستغاث
بأوروبا ، لتساعده على خلاص عرشه من التهديد ، والبلاد من الفوضى
فلبت دعواه فرنسا وانجلترا ، وأخيرا تخلت فرنسا وانجلترا انكسارا ،
فاما علم بذلك العرايون ، وضعوا البلاد تحت الاحكام العسكرية ، وفرضوا
عليها تموين الجيش من غلال ومواشي وكل ما يلزم له بما ازعج البلاد ازعاجا
كبيراً واستولوا على جميع مراكز الحكومة وصاروا يعزلون ويولون
الحكام من مديريين ومحافظين وغيرهم بمعرفتهم ، وكانت الاوامر التي تصدر
بهذه الاجراءات يذكر فيها ، ان هذا بناء على امر حامي حامي الديار المصرية
افندينا العراي باشا . وفي هذه الاثناء ، اعلن أن البلاد في حالة حرب مع
المملكة الانجليزية . وعند حضور الاسطول الانجليزي وعساكره
وقيامهم بمواجهة العرايين ، انعقد مجلس عال بالاسكندرية تحت رئاسة الخديوي
وقرر أن يقوم المرحوم سلطان باشا الذي كان حينئذ بمعية الخديوي مصر
ليتولى زمام الاحكام بالمسالح ، بالنيابة عن الخديوي عند وصول جيش
الانكليز الى مصر ، وكان ينتظر ان يكون ذلك سريعا حتى لا يكون
مركز البلاد خاليا من تمثيل الجناح العالي ، وعند ما شعر العرايين بذلك
امر مدير المنيا وهو حينئذ اسماعيل بك القيسي ، بأن يأخذ كل مملوكات

سلطان باشا من غلال وخيل ونحوها، ويرسلها الى مخازن الجيش، ويختم منزل سلطان باشا بالنيابا بالشمع الاحمر، حتى ينظر في امره، وحصل ذلك فعلا وكل هذا كان بسبب نخلي المرحوم سلطان باشا عنهم، للاسباب التي ذكرت وعند دخول الانكليز الى مصر، اراد سلطان باشا ان يتحقق الى اى حد ترمى المقاصد الانكليزية بحضورهم، فأكد الجنرال ولسلى قائد الحملة وجناب السرماليت وكيل الدولة الانجليزية حينئذ، ان مهمتهم هي اخمد الفتنة العرابية، وحفظ العرش من التهديد، وباتهاء ذلك تكون مهمتهم قد انتهت، وينصرفون الى بلادهم. اكدوا هذا للمرحوم سلطان باشا، الذي كان شغوقا بحب وطنه، واثقنا من سيطرة الانكليز عليه، لانه ليس من المعقول ان سلطان باشا يحارب الاحتلال التركي، الذي في نظره كابوس على البلاد، ويسعى للاستعاضة عنه بالاحتلال الانكليزي.

هذه هي الوقائع التاريخية بحقيقة ما حصل حسبما اتذكرها وجهة القول ان كل التهم التي نسبت الى المرحوم سلطان باشا، سواء كان بما سطره حضرة عبد السميع بك العرابي أو غيره، لا تطاق صفات المرحوم سلطان باشا واعماله، لانه كان رجلا وطنيا صميا شغوقا بحب المصلحة العامة، نزيها في جميع تصرفاته، عالي النفس، كريم الاخلاق، شهما هي ما، قل ان تجد البلاد نظيره.

فلاحقيقة والناريخ، وقياما بعهد الصداقة التي كانت تربطني بالمرحوم سلطان باشا، رأيت من الواجب على اعلان الوقائع التاريخية كما حصلت.

قديني فسرهمى

للحقيقة والتاريخ (١)

المرحوم سلطان باشا والمرحوم عرابي باشا

قرأت مانشره حضرة عبد السميع بك عرابي ، رداً على كلمتي التي توخيت بها تبرئة المرحوم سلطان باشا ، مما نسب اليه من التهم البعيدة عن الحقيقة ، والتي بنيتها على حقائق شهدتها بنفسي ، فليت حضرة عبد السميع بك ، قصر رده على المسائل الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ، ولكنه وسع نطاق البحث بما نشره بجريدة المقطم الغراء في يومي الاربعاء والخميس الماضيين ، توسيعاً اضطرني الى استئناف الاجابة على أقواله ، ومن باب الاستطراد الى ذكر وقائع شتى تتعلق بالمسائل العرايية وهو ما كنت أود بقاءه مطوياً في غرارة فاستميت عبد السميع بك العذر عما الجأني الى المكاشفة به ، واشكر له في آن واحد وفاءه لأبيه العظيم لأن الابناء البررة تظهر ثمرة آدابهم وعلو صفاتهم بحفظ كرامة منجبيهم

أذكر هذا وأنا مقتنع ، ان الحركة العرايية كما قلت قبلاً ، كانت في مبدأها حركة وطنية محضة ، ترمي الى الخدمة العامة ، ولكن بين عشية وضحاها ، انقلبت الى فتنة أقامت الامة واقعتها ، ولو دامت شهراً واحداً بعد دخول الانكليز مصر ، لقضت على البلاد قضاء تاماً ، ذلك لان الرجل قد أحاطت به قوة من الضباط ، أصبح لا قبل له بها فما لبثت ان افسدت

(١) هذه الرسالة نشرت بجريدة المقطم الغراء بالعدد ١٠٥٧٢ الصادر بتاريخ

عليه اصلح نياته . وكان من نتائج اضطرابه مطاوعتها ما هو معلوم ، فمع شكرى لحضرة عبد السميع بك لذوده عن والده ، لأجد بداً من القول ان الدفاع الشريف ، لا يترتب عليه اتهام الابرياء بتهم لا حقيقة لها ، خصوصاً اذا كانوا من عظماء الرجال العاملين ، الذين تفانوا في خدمة الوطن كسلطان باشا . على اننى أجدني في غنى عن الشرح الطويل ، في ردي على حضرة عبد السميع بك ، لأن من يقرأ أقواله يجد في أول كل جملة منها نقياً لما أذكره ، وفي آخرها تأييداً أو تصديقاً له ، مثال ذلك ، اننى لما أخذته بقوله « ان سلطان باشا كان يظن انه يستعين بمواهب عرابي باشا وقوة الجيش للحصول على رئاسة البرلمان ومن ثم تم له زعامة الحزب الوطني بماله من مميزات الغنى والجاه » قال في آخر هذه الجملة انه يقصد بعبارة هذه « ان سلطان باشا من رؤساء الحركة الوطنية وكان يظن انه يستعين بمواهب عرابي وقوة الجيش للوصول الى البرلمان » فلانكار والاثبات بجملة واحدة تناقض غريب أراد به ادحاض حجتي فما زادها إلا تعزيزاً

أما اذا تعذر الجواب على حضرة عبد السميع بك ، فإليك مثلاً من اجابته المفحمة . نقل حضرته قولي « ان العرايين اتجهت أفكارهم بعد حصولهم على طائفة من التواني الى محاربة الخديوي شخصياً وطبعت ألسانه الى الاستيلاء على العرش » فأجاب عليه بما نصه « هل هذا كلام معقول وهل في هذا التمول خدمة للحقيقة »

استمر حضرة عبد السميع بك على نحوه هذا من المحاوراة ، الى ان قال « لما نزلت الجنود الانجليزية ارض الاسكندرية وتقابلوا مع الخديوي

والنظار أصبح استمرار عراقي في دفاعه غير مرغوب فيه، بل اعتبر عصياناً وتمرداً، ولكن الأمة التي يعنيتها الامر مباشرة، قررت في أشخاص الهيئة التي اجتمعت في مصر لادارة شؤون البلاد مؤقتاً « أعني بعد ان أعلن الخديوي عصيانهم وتمردهم » وجوب الاستمرار في الدفاع عن البلاد وهي التي لقبّت عراقي باشا بحامي حى الديار المصرية

ففي صدر الجملة يقول ، هل يعقل ان العراقيين يحاربون الخديوي، وفي آخرها يذكر ان الأمة هي التي قررت الدفاع عن الوطن بالطريقة التي نظرها العراقيون رغم اعلان الخديوي عصيانهم ، أيعد هذا في عرف عبد السميع بك طاعة و إخلاصاً للخديوي وتفانياً في حب العرش ، وهل قيام وزارة سامى باشا بالامر في البلاد في نفس الوقت الذى ألف فيه الخديوي وزارة راغب باشا باعتبار ان وزارة العراقي خارجة عليه، يسمى طاعة وإخلاصاً؟ وهل استيلاؤهم على البلاد ومصالح الحكومة، وتجاهلهم وجود الخديوي وحكومته ، وقيامهم بشؤون الأمة مباشرة يدعى طاعة وإخلاصاً؟ تترك لحضرتة الجواب على ذلك ، ونسأله سؤالاً آخر — ماذا كان العراقيون يقصدون من استحضار الجيش بأكمله واحاطتهم بسر اى عابدين بالمدافع ومعدات الحصار ؟

نحن لا نروي رواية عن رقائل بل نذكر وقائع حضرناها شخصياً واعتقد ان حضرة عبد السميع بك، لم يكن حاضراً في ذلك العهد، فمن هذه الوجهة له العذر . نحن نصف مشهودات شهدناها، وحضرته يروي روايات سمعها أو ينقل عن اوراق وجدها، والفرق ظاهر بين الحالتين

انا ما زلت اقول — وأقول بحق لا لغرض في النفس — ان المرحوم سلطان باشا ارفع واعلى مما نسب اليه، وكل من اهالى القطر المصري والسوداني يعرف ذلك عنه، وقد حصر بيته وختم بالشمع الاحمر، بعد ان نهبت مقتنياته وكاد الرجل يرد موارد التهلكة غير متردد في مبدئه على كونه لو جرى العرايين لاحرز المقام الذي يريده بينهم، ألم يسمع حضرة عبد السميع بك بشيء من ذلك ! وهل اتاه حديث المرحوم شاكر باشا مدير المنياس، وغيره من حكام الاقاليم اللذين أخذوا بأمر العرايين في سلاسل من حديد، مخفورين بقوة الجيش وسجنوا بالطونخانة لانهم نصحوا أولئك السادة بالاعتدال لا لذنوب آخر، فاننا لم نجد لذكرى هذه الاحوال اثر أبقلم حضرة عبد السميع بك، ثم اننى ما زلت أكرر ان مطمع العرايين في العرش لاشك فيه، وانه لم يثنهم عنه سوى التنافس بينهم والاختلاف فيمن يشغل هذا المركز، حتى انه في اليوم الذي تلا مداولتهم هذه، لتقرير من يتولى العرش منهم، انتشر خبر عم مدينة المحروسة، وجرى على الاسنة في أثره ان السيدات نساء العرايين اجتمعن وتوازعن فيما بينهن سرايات البيت المالك، ووقع الخيار على سراي القبة وسراي عابدين للعرايين. أقول وأؤكد ان العرايين صمموا على عزل الخديوي وسعوا لذلك بكل الوسائل ولولا حكمة المرحوم سلطان باشا وبعد نظره، واستخدامه دهاءه، لحملهم على انتخاب خديوي منهم قبل عزل الخديوي القائم يومئذ حتى يكون قرار مجلس النواب بالعرش شاملا للتولية، لو لا ذلك لاحتسبوا يوم وجودهم عند سلطان باشا على قرار من البرلمان بعزل الخديوي، وناهيك بما يترتب على

ذلك من الفوضى في البلاد، واستعباد مخلوقات الله وتحملهم فوق ما تحملوا من اجراءات تلك الطغمة

اما قول عبد السميع بك « ان وزارة شريف باشا استقالت وجاءت بعدها وزارة محمود سامي باشا التي نزلت على ارادة الامة وكانت هي اول وزارة وطنية حرة وفرحت بها البلاد وجاءت لها الوفود من الوجهاء والاعيان لتهنئتها » فقول فيه مغزى لا يخفى على اللبيب . مغزى قريب من الصراحة يراد به ان وزارة شريف باشا التي فيها الجناب الخديوي بعيدة عن سيطرة العراقيين كانت وزارة غير وطنية وغير مخصصة للبلاد ولذلك سقطت بقوة العراقي واثت من بعدها وزارة عراقية محضة تعبر عن الاماني القومية والاخلاص للبلاد . أجل هو قول فيه معان واسعة كبيرة لمن يقرأ بين السطور اقل ما يفهم منها ان الخديوي كان عدواً للبلاد ومحارباً للوطنيين فيها

ليخبرنا حضرته ان صح انه لم يكن هناك ارهاباً ولا تهديداً من العراقيين للعرش، ماذا اوفد الباب العالي درويش باشا مصر؟

ومما يجمل ذكره هنا للقراء ، ان استعفاء وزارة شريف باشا لم يكن للاسباب التي ذكرها حضرة عبد السميع بك ، وانما السبب الحقيقي هو ان البرلمان عندما عقد جلسته الاولى ، كان من اول اعماله النظر في الميزانية ، الحكومة التي كان يرأسها المرحوم شريف باشا اذ ذاك ، رفضت تلك المطالب فبنى على ذلك انتداب وفد من النواب لمقابلة شريف باشا ، فاستقبلهم بدشاشته المعروفة ، وهو رجل رفيع الجاه عظيم التقدير عالي النفس فابتدروه

بكلام الجفاء والغلظة ، ولما كانت اداب الرجل لا تتفق مع هذه الاخلاق ،
استقال في الحال ، وهذا ما كان العراقيون يودون الوصول اليه ، لتأليف
وزارة مختصة منهم حتى يجمعوا بين قوة الحكم وقوة الجيش

يقول حضرة عبدالسميع بك ، ان الدول الاجنبية كانت تدس بين
عرايى باشا وبين الخديوي مع ان المعروف ان البارون دى رنج وكيل
دولة فرنسا في ذلك الحين ، كان يعتقد في مبدأ تلك الحركة انها ترمى الى
الاستقلال والحرية التي هي من مبادئه ، فشجع العراقيين كثيراً في أوائل
امرهم وكان سنداً قوياً لهم

والكن لما ظهر له كما ظهر لمرحوم سلطان باشا ان الامور انعكست
ويخشى من خراب البلاد وهدم العرش ، انضم الى نائب إنجلترا وطلب
من الخديوي ابعاد عرايى وجماعته عن مصر حتى تهدأ البلاد وتحل الطمانينة
محل الاضرار . وأشار المرحوم سلطان باشا على عرايى باشا وقتئذ بان
يخرج متنزهاً الى أوروبا ولو شهرين أو اكثر حتى لا تنفقد البلاد ما وصلت
اليه ، فرفض هو وزملاؤه وعدوا سلطان باشا خائناً ، ولم يسمعوا نصائح
الخديوي وظلوا لاجئين الى قوة الجيش الذى كان يحرسهم وعملوا
تحمينات قوية جعلوا مراكزهم فيها الى ان حضر الجيش الانكليزي .
وهنا استفهام أطلب الجواب عليه من عبدالسميع بك : من يستطيع ان
يخبرنا ماذا لم يواجه عرايى وجيشه الانكليز بالقتل الكبير وقام بغتة هو ومن
معه الى مصر وأدركه الانكليز فيها و كان ما كان ؟.....

يضاف الى ما تقدم ، كثير من تصرفات العراقيين واحوالهم القرمزية

التي أذكر منها على سبيل التمثيل واحدة مرت بي : فقد صدرت الى من
الهيئة العراقية يوم تسلمها مصالح الحكومة ، بعد اعلان العصيان ، وكنت اذ
ذاك ، وكيلا لعموم جنفالك الدائرة السنية — ثلاثة أوامر في يوم واحد :
الامر الاول ضرورة قلع جميع الاشجار من أراضي الدائرة وتكسيورها
خشباً وارسالها لمطابخ الجيش في أربعة وعشرين ساعة : الامر الثاني ارسال
مافي مخازن الدائرة السنية من خمومات وتبونات وعسل وسكر ونحو ذلك
في مدة لا تزيد عن أربعة وعشرين ساعة الى مخازن الجيش : الامر الثالث خلع
جميع اسلاك التلغراف الخاص بالدائرة السنية وسلك الحديد الضيقة التابعة
لها وشحن ذلك في أربعة وعشرين ساعة الى مخازن الجيش فهل . كان
غير الله قادراً على نماذ هذه المرهقات ؟ تلك أيام سود نسأل الله ان لا
يعيدها . جرى فيها ماجري من التلف والدمار وانتهت باكبر الفواجع
الحربية المخجلة — لقد لاح لي أن عبد السميع بك يترنم بذكر الايام
العراقية ترنم التباهي فايسمح لنا ان لا نجدها محلاً للتبجح والافتخار

قلت في المقدمة ، اني كنت أود لو لم تفتح هذه المسألة ، ذلك لأنها محزنة ،
أقل ما يقال فيها انها جاءت سبباً لخراب البلاد وضياع كيانها ، لافي ذلك
الوقت وحده — ذلك الوقت الذي نهب فيه ما نهب للجيش أو باسمه من
موجودات الامة غلالاً وخيولاً وجمالاً وحميراً وكابد فيه الناس الوان
العذاب وصنوف الذل والارهاق — بل الى هذا الزمن الذي مازالت البلاد
فيه رازحة تحت حكم الكوارج مما حل بها على أثر تلك الفتنة المشؤومة .

هذه الوقائع كنا نود أن لا نتعرض لها ، ولكننا اضطررنا لذكرها
تأييداً لحججنا وخدمة للحقيقة والتاريخ مجردة عن كل غرض وغاية .
هذه كلمتي ختاماً لتلك الذكريات وليس من رأى كمن سمع مني
فلبني فسرهمي

وكان في عهد الخديوي توفيق مشاعاً شيوعاً تاماً زواج الجوارى البيض
الذين تركهم آييه الخديوي اسماعيل عند تركه عرش مصر — بسريره
وسراى والدته لبعض ذوات مصر ، كما كانت تلك العادة متبعة وشائعة في
عهد والده الخديوي اسماعيل ، وكان من حظ الذين يتزوجون بهؤلاء
الجوارى ، الالتفات السامى والانعام عليهم بالعطايا والهدايا ، وكان المقرر
ان كل جارية تتزوج تقوم السراى بجهازها من ملابس وحلى وينعم عليها
بإعبادية مساحتها خمسمائة فدان تعيش من ريعها ومسكن تسكن فيه وعربة
يجرها زوج من الجياد الصافنات ، وزوجها يفضل عن سواه في وظائف
الحكومة فادى ذلك الحال على تقاطر القوم من كل طبقة على الزواج
منهن ، وكان الأزواج يعدون محاسيب السراى الخصوصيين ، وعلى الأخص
الباشا الذى كان لهم أكبر عضد وسند بالسراى لتنفيذ كل رغائبهم
وجميعهم يقبلون أيديه باحناً وخاضعاً يعدون أنفسهم منتبئين إليه . وكان
هو يتبته دلالاً عليهم وكبراً وعجباً — كل هذه الأحوال السيئة كانت
من اسباب تأخر رقى البلاد وتقدمها فقضى على كل هذا وجود الاحتلال
الانكليزى

وكان من حسنات الخديوى ترفيقه انه لا يميل الى الاذى ولم يسعه
قط فى اغتصاب مال الغير ، عائشاً عيشة بسيطة جداً بعيداً عن المطامع ولا
يعزى اليه امر يؤخذ عليه سوى عدم كياسته فى المسألة العراييه
وقد عينت فى عهد مراقباً للاموال الغير مقررته بنظارة المالية ومديراً
عاماً للدخوليات فما رأيت منه يوماً ما طمعاً مطلقاً فى اى امر بل كان يمثل
لنظام الحكومة ويحترمه ويسير بمقتضاه كاحد الافراد وكان فى ذلك
الوقت رياض باشا رئيساً للنظار وناظراً للمالية والداخلية والمعارف ، وكان
كما قلنا رجل ذو شمم عظيم واثقة كبرى ومقدرة عالية اذ ذكر عنه ما يأتى
كبيان جناب المستشار المالى معدوداً الثانى فى النفوذ والسلطة بعد
كرومر ، فدخل يوماً على رياض باشا بنظارة المالية لابساً ملابس بيضاء
وحزاماً ابيض ايضاً فقال له رياض باشا ، هل جنابك قادم من الصيد فقال
لماذا يا دولة الباشا فقال له لان هذه الملابس ليست ملابس مصالح بل
اظهرها مخصوصة للصيد ، ففهم المستشار الغرض وفى الحال عاد لمنزله وغير
ملابسه ووضع طربوشاً على رأسه ، وعاد للنظارة ودخل على رياض باشا
فصاح رياض باشا فى وجهه وقال هذه هي ملابس النظارة يا جناب المستشار
ودخل يوماً السير غورست عند ما كان مراقباً للاموال المقررة
بالمالية على دولة الوزير وعرض عليه بعض اوراق أخذ عنها رأى دولته ،
ومن بين هذه الاوراق عرض عليه عريضة وردت له من بلدة بالتظلم عن
امر فقال لدولة الوزير — وردت لي هذه العريضة فكتبت عنها بكذا وكذا
ولكنني قبل أن ارسل الرد ، أردت ان أعرض الامر على مسامعكم ،

إذا كان ما كتبته هو الموافق ، فقال رياض باشا بحدة ، هات العريضة
فاخذها ومزقها ارباً ارباً وقال له لا وجه لتقديم العرايض والشكاوي الا
للوزير ، فهل انت عيذت وزيراً آخر؟ فسكت غورست مع ما كان عليه
من الانفة والكبر ولم ينطق بكلمة ، وبعد ذلك حرر رياض باشا منشوراً
بأن العرايض لا تكتب الا للوزير . وكان رياض باشا رجلاً عصبي المزاج
حاد الطبع ، عالي النفس جداً . شريف المسالك شرفاً لا حد له ، رجلاً حكومياً
بمعنى الكلمة ، قادراً على العمل لا يعرف للملأ اسماً ولا جسماً . مهما كانت
عليه صحته من الضعف الشديد ، لا يقتصر على العمل بالديوان بل يشتغل
في منزله كل أوقات الفراغ من الديوان لغاية نصف الليل ، وكان موظفو
النظارات التي يرأسها ، وهي عادة المالية والمعارف والداخلية ورئاسة مجلس
النظار ، دوماً بأوراقهم بعد الظهر في سرياه لعرض اللازم منها والاستئذان
عن ما يلزم ، وما وجد وزير بمصر خشية الولادة . سواه ، فانه كان لا يخلج
من معارضتهم في كل امر غير نافع للبلاد ، مهما جلب ذلك عليه من غضبهم ،
وكان رياض غير ميال لا لتشار الموظفين الانجليز . بمصالح الحكومة ويقول
لا بأس من اعطائهم حق الاشراف العام . ولكن لا يصح انتشارهم بالمصالح ،
حتى وانه عند ما عرض عليه نخامة اللورد كرومر تعيين المستر اسكوت
مستشاراً لانتظاره الحقانية غضب غضباً شديداً . ورفض بتاتا الموافقة على
تعيينه فألح اللورد كثيراً فلم يقبل رياض باشا ، وخشى ان اللورد يحاول اخذ
قبول عن ذلك من الخديوي فأخبر الخديوي بالامر . وطلب منه ان لا يربط
مع اللورد كرومر بأي كلمة في هذا الموضوع ، بل يحيل الامر عليه . فوعدوه

الخديوى بذلك ، ولكن بمجرد ان قابل اللورد كرومر الخديوى وطلب منه هذا الامر ، وعده باجابة طلبه (والخديوى توفيق كان معروفاً بالضعف) ففرح كرومر بذلك وعاد فى الحال لنظارة الداخلية ، وقابل فيها رياض باشا وأخبره بما كان ، فغضب رياض باشا غضباً شديداً وصرخ بصوت عال جداً وقال هازأ رأسه

الخديوى وعدك ومتى كان ذلك ؟

فقال اللورد — أنا قادم مباشرة من عنده

فقال رياض باشا — هكذا وعود الملوك ، الخديوى وعدني قبل ساعتين بعدم قبول هذا الطلب ، وبعد ساعتين وعدك بقبوله — سأقابله واعطي لك قولاً فيما بعد

وفى الحال قام رياض باشا وتوجه للسراى ، وقال للخديوى ، كنت اظن انك تقدر خدماتي للبلاد التي أنت سيدها ولك مصالح فيها ، أكثر مني ، ولكنك وقد خلقت وعدك معي ، فاختر من تشاء بدلي ، فاني مستقيل وهذه استقالتي ، فارتبك الخديوى ارتباكاً شديداً ، وطلب من رياض باشا برجاء والحاح أن لا يستقيل بسبب هذه الحادثة لأن ذلك يوجب سخط الأمة ويهيج الرأي العام ضده

فقال رياض باشا : أقبل على نفسي أن أكون ضحية عمالك هذا ، حتى ينجيك من المسؤولية أمام الجمهور ، ولكنى مصر على الاستقالة بعد . وترك الخديوى وتوجه للنظارة وفعلاً بعد صدور الذكرى بتعيين اسكوت باربعة أيام استقال رياض باشا والنظار جميعاً كانوا يخشونه ويهابونه جداً

وأعرف من نوادره مع النظارة ان المرحوم نخري باشا ناظر الحقانية وقتها، أصدر منشوراً ببناء على تعليمات المستراسكوت لجميع المحاكم بمباديء لا تنطبق على رغبة رياض باشا — وبمجرد اطلاعه على المنشور، استحضر ناظر الحقانية وسأله قائلاً، هل سعادة ناظر الحقانية كان في غيبوبة حينما أصدر هذا المنشور؟ فراد نخري باشا الاعتذار والتخلص من تبعه هذا المنشور، فلم يقبل منه رياض باشا وقال له آخر قول في هذا الموضوع، أما سحب هذا المنشور وتغييره بهذه الصورة « وقدم له صورة منشور مجهز بقامه، ضد المنشور السابق على خط مستقيم » وأما أن تستقيل وامامك ست ساعات للتروى، فقام نخري باشا وتوجه لنظارة الحقانية وعرض تفصيلات الامر على السير اسكوت. فكان جواب اسكوت اني أفضل سحب المنشور وتغييره بالصورة التي أمر بها دولة الرئيس على استقالتكم، لأنك موضع ثقتي وآمالي في اصلاح الحقانية، وعلى ذلك تغير المنشور وتم ما اراد رياض باشا واعتذر السير اسكوت لدولة رياض باشا وصرفت هذه المسألة على هذا الوجه

ومن نوادره اللطيفة أن دخل عليه يوماً بالديوان بعد الاستئذان المرحوم تيجران باشا ناظر الخارجية. وكان بيده عصاه، فاستدعى رياض باشا الحاجب الواقف امام الباب وقال له سعادة الباشا نسي أن يترك عندك عصاه حال دخوله هنا فخذها من سمادته وابقها عندك وحين خروجه اعطها له، فحجل تيجران وسلم العصا للخادم بدون أن ينطق بمنت شفة ودخلت أنا أيضاً عند دولته لعرض مسألة هامة، وجلست قبل ان

يأذن لي بالجلوس فغضب وقال لي (بحالة غضب لم اعتدها منه) ماذا تريد فادركت الامر وفي الحال وقفت وقلت لدولته — عندي مسألة هامة اريد عرضها على مسامع دولتكم ، فقال ليس عندي وقت الآن ، وبعد برهة من الزمن تذكر اني لم اقصد بجلوسي الخط من كرامته او عدم الاعتناء — انما تلك هفوة غير مقصودة وتذكر ايضا ان المعاملة التي عاملني بها كانت قاسية وشديدة فطلبني فدخلت عنده فوجدته باشا مسرورا فقال تتمضل اجلس ، ما عندك من الاعمال فعرضت ما كان لدي ، واخيرا طيب خاطري قائلا ، وانما اذا عاملتك بما عاملتك به فماذلك الا لانك عندي بمنزلة ولدي فكان هذا الخطاب موجبا للرضاء التام وأنساني بالثرة مافات ، وكان من طبعه الميل الشديد للعدل والمساواة حتى ، لو كان ذلك يؤدي لضرر ذويه بل واولاده ، واضرب مثلا لذلك نادرة واحدة تدل على كثير مثلها من هذا القليل

كان يدخل ضمن دائرة عملي بنظارة المالية — مراجعة جميع احكام مجالس التأديب بالحكومة وفروعها ، فراجعت حكما صادرا من مديرية اسيوط ، وكان المدير وقتها المرحوم محمود رياض باشا نبجله — فوجدت الحكم كله ظلم ، فقد حكم على أناس بالرقت من خدمة الحكومة بدون حق ولا مستند يبيح هذا الحكم . فلم ترض ذمتي الموافقة على هذا الحكم مراعاة لنجل رياض باشا ، فدخلت عليه وقلت له بكل جراءة ما يأتي :

طعما في عدلك المشهور ، أتجاسر بان أرفع ضد نجاكم محمود رياض باشا شكوى على تصرفه الغير العادل ، حيث أنه أصدر حكما ظالما ضد

موظف، ضعيف لم تسمح له وظيفته بالوقوف أمام رغبة المدير بالدفع عن نفسه، فحكم عليه بالرفق والحرمان، وأنا أعرف أن دولتكم لا تقبلون وضع اسمكم الشريف على مثل هذا الحكم. فانسر جداً رياض باشا من كلاني ومن صراحتي، وكتب بيده خطاباً شديداً للهِجَة وبيخاً وتعنيماً لنجله محمود رياض باشا، وأمرني بالغاء هذا الحكم، وإعادة النظر فيه، ففعلت بما أمرني به.

واتهزنت هذه الفرصة وعرضت على دولته، أنه طالما زمام الأمر بين يديكم، لا خوف من ظلم أحد ولكن هل يمكن ضمانه ذلك مع الغير؟ فقال لي باسمًا، ومماذا تريد أن أفعل؟ فقلت لدولته إذا سمح مولاي فليكن لمجالس التأديب بالفروع، مجالس استئناف لإعادة النظر، وقد يمكن أن تكون مجالس الاستئناف، مجالس النظارات، لأن في ذلك ضمان عظيم لعدالة الأحكام، فاستحسن كثيراً هذه الفكرة وأمر فعلاً بتنفيذها، وكانت هذه الطريقة أكبر ضمان لسير العدالة في الأحكام — وقات لدولته أيضاً، ومن هذا القبيل مصلحة تعد نفسها غريبة عن نظام الحكومة وهي مصلحة الدائرة السنية ومستخدميهما يقاسون العذاب الأليم، من أحكام مجلس تأديبها الظالم. بسبب استبداد رئيسها فريد باشا المعلوم أمره للجميع. على أن معاشات موظفي هذه المصلحة تدفع من خزانة الحكومة (المالية) فهلا يستصوب دولة الوزير أن يكون استئناف مجلس تأديب الدائرة السنية بمجلس نظارة المالية؟ فقال هذا حق وعدل، ففعل ذلك أيضاً فأدى هذان الأمران خدمات جليلة وضماناً لا يقدر للموظفين جميعهم.

بالقروع وبالاخص موظفي الدائرة السنية ، الا انها استوجبا سخط المديرين المستبدين ، وعلى الاخص فريد باشا ، لان استبداده تقيد بسلاسل من حديد ، لا يمكنه فكها حتى انه حضر لنظارة المالية ، وتقابل معي وأراد اقناعي في الغاء هذا العمل وقال ان ذلك يقال من نفوذه وسلطته

فقلت له -- ولكن عن مكر -- أعرض هذا على دولة الوزير ، وربما عند ما يفهم أن ذلك فيه تقليل من نفوذك ، يعود فيعدل عن هذه الفكرة ، فقام بالفعل وعرض الامر على رياض باشا فترتب على ذلك سخط رياض باشا الشديد عليه ووبخه توبيخاً عنيفاً وأمره بأنه اذا كان يتضرر من هذه المبادئ فليستقل ، فخرج فريد باشا حزينا لا يطمئنى سوى عفو الوزير عنه ، فتوسط المرحوم محمود باشا دبوسغلي اعني صهر رياض باشا ووالد المرحوم حسين رشدي باشا لدى دولة رياض باشا وطلب العفو منه لفريد باشا ، فعفى عنه مشروطاً بأن الاستئناف الذي تقرر لتهذيب لا بد منه وانه مع ذلك اذا سمع أنه ظلم او جار على أي إنسان فيحاكمه

ومن الذين تولوا نظارة المالية في عهدي خلاف رياض باشا ، المرحوم عبد الرحمن رشدي باشا ، وهو رجل غزير العلم عظيم الفكر محترم احتراماً كثيراً عند الانجليز وسواهم ، وكان قوياً جداً ومقتدراً عظيماً في الحسابات ومسك الدفاتر وكان يتقن جملة لغات اتقاناً تاماً منها الانجليزية والفرنساوية والتليانية ، وكان بعيد النظر ، ثاقب الفكر ، رقيق الجانب ، لطيف المعاشرة ، يقدر كل عامل حق قدره ، وكان له ثقة كبرى بالداعي ، حتى انه عرض عليه في ذات يوم ، زميلي جناب السير غورست — وكان

إذ ذاك مراقباً للاموال المقررة — خطاباً مهماً محرراً لأحدى الجهات باللغة العربية ، فقبل التوقيع عليه دعاني وقال لي ، ارجوك تلاوة هذا الخطاب وإذا كان لك فيه فكر فابده ، فقرأت الخطاب ونقحته كما تراءى لي وبعد ذلك وقع عليه ، فأوجب ذلك غضب السير غورست منى فحضر عندي بمكتبي وقال لي غاضباً

لماذا تتدخل في شغلي ؟

فجاوبته باسمًا ، غريب منك هذا القول ، أنا لم اغتصب منك عملاً ، فإذا كنت تقصد عدم اطاعتي للوزير ، في تنفيذ أمر أمرني به فيجدر بك أن تسأله هو عن ذلك ، وأخيراً تفاهمنا واصطلحنا

وكان المرحوم عبد الرحمن رشدي باشا محل احترام الانكليز التام وليسكن لم يخول له من السلطة أكثر من غيره ، والوزير الوحيد في بابه ، الذي قام بحق النظارة حائزاً تمام السلطة بدون شريك هو رياض باشا ، كما اسلفنا الايضاح حتى وانه ذات يوم حينما كان المرحوم بطرس باشا ناظرًا للمالية دعاني رياض باشا للاستفسار مني عن مسألة نفى البطريرك وكان دولته شديد السخط على من قاموا بهذه الحركة . وكان في اعتقاده ان هذا العمل خطأ فاحش من الحكومة ، ومضاد لقيمها ، وموجب لارتباكها وموقع الخديوي في مسألة ولاية عيسى . لأن قانون ونظام الحكومة . يقضيان ان كل من تتوجه ضده تهمة ، ولو كان من النعمة والمشتغاة ونحو ذلك يجب ان يحاكم امام المحاكم بعد تحقيق دقيق ، والحكم الذي تصدره المحكمة في حقه هو الذي يحترم وينفذ ، على ان السيد البطريرك رئيس

ديني كبير جداً لامة الاقباط ، وله مركز سامي ومعدود في صف بابا رومه
فمن تكون درجته كهذه لا يمكن بمجرد توجيه الرغبة لنتفيه ان ينفي بأمر
اداري، وبدون حكم من محكمة ، ولذلك كان يخشى المرحوم رياض باشا من
وخامة هذا العمل اذا قام البطريرك في وجه الحكومة ، خصوصاً وان
قنصل عام دولة روسيا داخل في هذا الامر باعتباره نائب دولة ارثوذكسية
ولذلك أراد أن يرجعه من منفاه بموكب حافل وترضية كبرى ، ولما
كنت أنا الفرد الوحيد من الاقباط الذي تباعد عن الاشتراك في منفاه،
بل كنت بالعكس معارضاً لذلك ومقدراً وخامة العاقبة حق قدرها، وكان
المرحوم رياض باشا يعرف ذلك عني جيداً، فدعاني للاستشارة معي في بعض
مسائل تختص بهذا الغرض، وأخذ فكري فيما يحسن عمله لاسترضاء جناب
البطريرك ، وبعودته ، فقلت لدولته يجب ان الفريق الذي تطلب نفي
البطريرك، يقدم التماساً للحكومة برجاء عودته الى كرسيه كما كان، عند
وصوله للمحطة ، تسطف لهنتته فرقة عسكرية، واذالك تكون في انتظاره
عربة من الركائب الخديوية وبعد ذلك تروره دولتك بالدار البطريكية لتنهنته،
وعند زيارته للجناب الخديوي يقلده بيده الكريمة الجران كوردون العثماني،
هذا يامولاي ماأراد واجبا عمله لاسترضاء البطريرك ، تحت استحسان
دولتك ، فاستحسن كل هذا وأمر دولته بالاجراء بمقتضاه

أما وكلاء الوزارات الذين كانوا في عهدي فهم بلوم واللورد ملتر
ودوكنس ومتشل انس، والمستشارون بلنر، وغورست ، فبالمر كان رجلاً
سريع الفهم نشيطاً للغاية ، لا يؤجل عمل اليوم للغد ، وكان في عهده هو

كرومر الثاني في جميع سلطته ، وانما الحكومة . وكان الكل يخشونه
ويسمعون بجهدهم لارضائه الا رياض باشا فكان بالعكس ، فبالمر هو الذي
كان يطلب رضاه ، وكان رجلا على حق ، عادلا حتى لو تقاضى مصري
وانجليزي فكان ينحاز لجانب الحق ، ولكنه كان كمثل مستشار ممسك
للعناية في الميزانية . ومن امثال عدالته انه كان يوجد من الموظفين الانكليز ،
الذين يشتغلون ببعض الفروع التابعة لمصلحتي ، شخص يسمى هو كير فهذا
الموظف وجد يوماً بالسراي الخديوية في يوم تشريفه ومع انه من الذين
يجب ادخالهم التشريفة من موظفي الفروع بعد ادخال موظفي الوزارة الذين
هم عموم الفروع ، فقد تجارى بسماجة غريبة ، لا تعرف للحياء ولا
للدوق وجهاً

فقال لي وأنا رئيسه : لا يصح انك تدخل قبلي وانا انكليزي ، فقلت
له يظهر انك تجهل الصف الذي تدخل فيه واستدعيت المرحوم خيرى بك
التشريفاتى ، وقلت له هذا الخواجا لا يدري اين محله ، فأرجوك ان ترشده
الى المحل المقرر لوظيفته فقال له خيرى بك ، يا مستر هو كير هذا ليس محلك
تعال معي انا ارشدك الى محلك ، فغضب هو كير وعد كلامي اهانة له وطلب
من الحاضرين ان يكونوا شهوداً . فقلت للحاضرين من لم يسمع من
حضر اتكم كلامى فأعيدته اليه حتى تحفظ الشهادة غيباً وبعد أن انقضى
زمن التشريفات ، عدنا للمنظارة ، فسبقني وقدم شكوى في حقى لو كير
المالية وكان اذ ذاك السير غورست ، فدعاني وكنت منبجح الاعصاب جداً
مما حصل ، وعقدت النية ألا أنساهل في شيء ، ونواقضى الحال لتركي الخدمة

من الحكومة ، فعند دخولي للسير غورست بادرني بالقول ، ماذا يا قليني بك قومت القيامة بالسراي في هذا اليوم على هو كر ، فقلت له ، هذا كذب : من قال لك هذا القول ، فقال لي اخبرني به المستر هو كر - وكان بجانبه - فكررت القول قائلا هذا الكلام كذب محض ، فقال نعم نعم : قص على أنت ماجري ، فقلت له ، انا توجهت للتشريفات حسب العادة ، وبحسب النظام المعمول لها من قديم ، وتواجدت في المحل المعين لي ، وفي أثناء ذلك ، رأيت هو كر آتيا مخترقا الصنف مسرعاً نحو ي قائلا لي ، لا يصح أن تدخل قبلي ، وانا بعدك مع اني انكاري ، فقلت له يظهر انك تجهل النظام ، ولم تعرف محلك ، وأشارت الى احد رجال التشريفات بأن يرشده لمحله ، هذا كل الذي حصل ، ولم أكن أنا البادي لذلك ولا انا المحرك ، فقال لي مغرضاً - والغرض مرض - وهل نسيت يا قليني بك ان مرتبه اكثر من مرتبك ، فضحكت وقلت له ، وهل تحاكمني على ذنب انت اقترفته في حق ، كيف يكون مرتب الرئيس اقل من مرتب المروءوس ؟ فقال لي انت في هذا اليوم عصبي المزاج ، انبق هذه المسألة للنظر فيها ليوم آخر ، فقلت له كل يوم تسألني فيه ترى مني حدة الطبع الذي تراد الآن ، فالاحسن ان تحكم فيها بما تريد اليوم فرفع الامر الى السير بالمر ، وقص له المسألة من أولها لآخرها ، فغضب السير بالمر غضباً شديداً عند ما سمع القصة ، وقال هذا أمر يوجب الحال في نظام الاعمال ، وقال له هو كر في الحال اما ان تطلب بردون من قليني بك واما تستميل في هذه الساعة فحضر هو كر مكتبي وطلب الاذن لمقابلتي فاذنت له فدخل بكل تواضع وطلب مني بردون وهو واقف مكشوف الرأس منحني بكل خضوع

فاستغربت لهذا التغير الفجائي لأنني لم أعلم ما فعله السير بالمر فطبعا عندما رأيت ذلك منه ، عاملته بكل لطف ، واجلسته بجانبني ، وطلبت له قهوة حسب عوايد بلادنا ، وانصرف ما كان داخل صدورنا ، وانتهت المسألة غرضي من هذه القصة اقامة الدليل والبرهان على عدالة السير بالمر ، وكان يميل جداً للنظام في الاعمال ، ولما كان من ضبعي حب الترتيب والنظام انتهزت هذه الفرصة وعرضت عليه مشروع ميناء للتجارة بمصر تشبه ميناء البصل بالاسكندرية وقررت وضعها بجهة روض الفرج وهي الجهة السكائنة بحرى المدينة ، المعروفة الآن بساحل روض الفرج . وكلها مواقع صحية ، وخلاء فجابني في طلي ، وكان هذا أول عمل بمدينة المحروسة من هذا القبيل ، وحضر افتتاح هذه الميناء ، جناب الخديوي واللورد كرومر وسائر القناصل وأعيان المدينة وكبرائها ، وكان عيد عظيم وعملت ميناء أخرى في جنوبي مصر بجهة أثر النبي - المعروف الآن بساحل أثر النبي ، لجميع أصناف العمارات وأدوات الحريق ، وصار افتتاحها باحتفال عظيم مثل الاول

وأما السير غورست فكان له معي كثير من النوادر ، تارة وهو زميلي ، وأخرى وهو وكيل المالية ، ثم وهو مستشارها ، لكن الحق يعلو ولا يعلى عليه . فلرجل كان ذكياً جداً ، سريع الخاطر ، شريف المسلك ، عزيز النفس جداً ، ولكنه كان يراعي مزاجه للغاية . فكان يميل لركوب وسباق الخيل ولعب التمس وملاصقة الجاس للصيف — ويا عني ، لكنه في هذا الموضوع ولا نفخر — فكان يميل للعمل بسرعة ، وأظن ذلك كان

تابعاً لصحته، ومع ذلك قام بخدمات جليلة لمصر والمصريين والحكومة أيضاً،
ومن الخدم العظيمة التي أداها مصر، أنه عندما تعين مستشاراً للمالية، دعاني
يوماً إليه، وقال لي أريد أن أفعل شيئاً يرضي أهالي البلاد ويجذبهم لمحبتى،
فأنت مصري وخدمت بالأقاليم والمدن، ويمكنك أن تدلني على شيء يرضيهم،
فقلت له نعمت الفكرة، إذا أراد سيدي أن يرضي الجمهور ويكسب قلوبهم
فلا يكون أحسن من إلغاء ضريبة الدخوليات بجميع الأقاليم ومصر
والاسكندرية. وإلغاء عوائد الهويسات، فإن تلك الضرائب لا يوجد
أثقل منها على النفس، فقال موافق على رأيك وسأفعل ذلك، ولكن
الذي يدهشني أن هذه الضرائب هي التي تتكون منها مصالح إدارتك
فكيف تتطلب مني الغاءها، مع علمك أنك بعد ذلك لا مصالح تبقى لك،
هذا سر لا يمكنني أن أدركه، فقل لي السبب — فقلت له باسمًا — سيدي
أنا من أهل البلاد وبنيتها، وهذا الخير الذي تريد أن تفعله بالبلاد يعني
ويعم عشيرتي إلى الأبد، ولكن الوظيفة تقليد، جائز تبقى لي اليوم وتزول
عني باكر، على أن كل محب لوطنه يجب عليه تضحية نفسه لصالح بلده،
فأريد أن أقدم أفضل القوم مرة في حياتي، فسر جداً من كلامي وهنأني وفعلاً
تم هذا العمل بكل سرعة، فاجتذب محبة عموم أهالي القطر

وله أعمال جليلة يقصر قلبي عن حصرها — وسأذكر منها شيئاً عند

كلامي عنه لما كان معتمداً سياسياً خلفاً للمرحوم اللورد كرومر

وأما الوكلاء فمنهم بلوم باشا — وهو اسرائيلي نمساوي، رجل يندر

مثله في النشاط والهمة ميلاً لفعل المعروف والخير مع الناس، محبوباً عند

جميع مستخدمي النظارة ، وخدم زمناً طويلاً نال فيه صيتاً كبيراً وشهرة عالية وذكرًا جميلاً سواء أكان عند الانكليز أو عند المصريين ، وكان في عهده موظف يسمى اسم معلوم بك رجل غريب في بابه وكانت وظيفته مفتشاً بالمالية ولكن كان له نفوذ لا يقل عن نفوذ وكيل المالية ، فامتنعت حديثاً بنظارة المالية وكان ذلك في عهد وكالة بلوم باشا فبينما أنا جالس بمكتبي وقائم بعمل مع بعض الموظفين التابعين لإدارتي ، وإذا بجاويش دخل وقال للموظف الذي كان يشتغل معي : تفضل البك يدعوك فوضع أوراقه على مكتي وهم بالخروج طوعاً لا شارة هذا الجاويش ، فاستغربت جداً ودعوت هذا الموظف ، وقلت له إلى أين أنت ذاهب فقال البك يطلبني فقلت له أي بك فقال اسم معلوم بك فقلت هل انت موظف طرف اسم معلوم بك أو هل اسم معلوم بك شريك لنا في إدارتنا ؟ فقال لا ، فقلت لا تذهب هذا اليوم ولا في أي يوم يطلبك وإذا علمت أنك توجهت مرة ما عنده فلا بد من رفتك ودعوت أيضاً الجاويش الذي كان حضر لهذا الغرض وفهمته بأنه إذا حضر يوماً آخر وطلب أي موظف من التابعين لمصاحتي فلا بد من السعي في طرده

وبعد ذلك توجهت لمقابلة بلوم باشا وأنا بالطبع منتهل من هذه الإجراءات وقلت له نظام المصلحة نظام فوضى : وأنا لا أقبل ذلك مالمعني واحد خارج عن مصالحتي يتصرف في موظفي إدارتي بدون اذن ،

فقال لي لا تغضب ، واني اعدك بان هذا الامر لا يتكرر ، واحضر في الحال اسمعولم بك وقال له يظهر انك تجهل طباع قليني بك فأرجوك ان لا تتداخل مطلقاً في مصلحته ولا موظفيه ، واحذر كل الحذر انه اذا تكرر منك ذلك فيعرض الامر على رياض باشا ووقتئذ لا يمكن احد منا انجيك ، نخاف اسمعولم كل الخوف واجتهد في ارضائي وكف عن تصرفه هذا والوكيل الذي اعتب بلوم باشا هو العالم الكبير والمحرر الشهير صاحب العقل الواسع والفكر الثاقب جناب اللورد ملر الذي عين والياً على الترنسفال وكان رجلاً رقيق الاخلاق لطيف المعاشرة عالي الهمة ، كبير النفس مع تواضع فيه كل الصفات الحسنة ولم اعرف له سيئة واحدة على عكسه متشمل أنس الذي كان وكيلاً للمالية بعده فان صفاته كلها سيئات لم اعرف له حسنة واحدة ، بليد الفهم ، ميالاً للاذى والشر ، لا يفي بوعدده مرة واحدة ، كذوباً في جميع اقواله ، يسر ويرقص طرباً كلما تيسر له اذى بني الانسان ، ويحزن حزناً شديداً إذا بدا على يديه عمل خير ، قال ان يوجد مؤذ شرير نظيره لا بين الانجليز ولا المصريين سوى واحد فقط وهو فريد باشا الذي كان ناظراً للدائرة السنية فان أخلاقه كانت تقريباً مثل أخلاق متشمل أنس تماماً ، وأما المستر دو كنس الذي كان وكيلاً للمالية بعد المستر متشمل أنس فكان رجلاً طيب القلب ، في أخلاقه شيء من أخلاق الدراويش ، بعيداً عن الاذى ، كريم العنصر أديباً في كلامه وأفعاله ،

وقبل أن أختتم الكلام عن المالية ورجالها لا أريد أن أنسى نفسي، فسأتكلم شيئاً اجمالياً عن مصالحتي التي توليتها وما جرى فيها. وأرجو من القارئ أن يعتقد في صحة كلامي لأنني أقسمت أني لا أكتب في مذكراتي إلا حقائق شاهدتها بعيني وفعلتها بنفسي مجرداً عن كل غاية وغرض حتى ولو كانت عن شخصي

فالمصالح التي كانت تحت إدارتي وكنت عليها مديراً عاماً، ومراقباً عمومياً هي مصالح دخليات مدن مصر واسكندرية بورسعيد والاسماعيلية والسويس ودمهور والمنصورة وطنطا والزقازيق والمحلة الكبرى وبنيها والجيزة والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسائر المدن الرئيسية، ومصالح الاسماك بعموم القطر المصري سواء كانت بالنيابا الحلوة أو المالحة والملاحة بالنيل للوابورات والذهبيات وسائر المراكب بأنواعها، ومصالح الملح والنظرون والضربخانة، وكافة ما يتعلق بدمغة المعصوغات الذهبية والفضية. وكل أنواع الدمغة ونحوه. وكانت تدخل ضمن إدارتي أيضاً، الإدارة العربية بنظارة المالية. وكان يشملها النظر في جميع أحكام مجالس التأديب لمصالح الحكومة اجمع وطلب الرتب والنياشين مستخدمى المالية وفروعها. وكل أعمال المحمل الشريف بما في ذلك تحضير الكسوة وإرسال الهدايا من غلال ونحو ذلك منسكة لمكرمه. هذه هي المصالح بطريق الاجمال التي كنت أراسها، وفوق ذلك كنت رئيساً لمجلس تأديب الدخليات وعضواً بمجلس تأديب نظارة المالية. وعضواً باللجنة المستدعية لتعيين المستخدمين بسائر مصالح الحكومة. وعضواً بلجنة تنقيح قوانين

المحاكم مندوبا من قبل المالية — فبحمد الله تعالى قمت بسائر ما كلفت به أحسن قيام بشهادة رؤسائي، وهم بالمر، وملنر، وغورست، واللورد كرومر، وزادت الإيرادات في عهدي نحو ١,٣٣٤,٣٢٠ جنيهًا أي بواقع ٥٠ ٪ عن إيرادات الإدارة السابقة التي كانت في عهد المسيو مازوك. فأوجب ذلك حقه على حقدًا شديدًا، ومن سوء حظي صادف حقه آخرين أكثر منه حقدًا، وهم متشل انس واسمعلوم وهو كر، الذي كان يطمع في أن يتولى مصلحتي لأنه انكليزي ليس إلا. واسمعلوم بك لأنني قنلت في وجهه أبواب المنافع التي كان يستفيد منها من مصلحتي، فبينما كنت اتقلب على آخر من الجهر من دسائس وهؤلاء، كل منهم ذو نفوذ كنت اسمع أقوال البعيدين عني أني بصفتي ملك مستقل أدير حركة مملكة لا شريك لي فيها. ومحسدوني على ذلك ومن الجهة الثانية كان على واجب مصلحتي الذي كان يستغرق كل وقتي في العمل والفكر والملاحظة حتى لا تقف حركة دولاب اشغالي، ظلمت زمنًا وأنا أعارك بين جميع هذه العوامل حتى فضح امر حسادي وانكشف وانتصرت عليهم جميعًا، وخرجت ظافرًا وكلهم أصبحوا اذلاء محتقرين امامي، فشكرت الحق تعالى الذي نصر الحق، وأنى ألا أخش لومة لأم بالقول اني خدمت الفلاح المسكين والتاجر الصغير خدمات لا تعد ولا تحصى وسعيت في رفع جملة عوائد كانت تؤخذ من الفقراء والمساكين فالغيت عوائد الجنائن التي تتبع المنازل وعوائد المراكب والهويسات، والغيت العوائد التي كانت تؤخذ على قرافة الامام الشافعي، ونزلات كثيرًا من عوائد دمنغة المنسوجات، ورحمت ممولى الدخوليات من بهدلة بضائعهم

وأكتفيت بأخذ العوائد على الوزن بدون تقريغ ، ولا عد بضائعهم منعاً للبهلة ، والغيت كي المواشي بالنار لأن ذلك كان عذاباً ألماً للحيوان ، ورفعت شأن المستخدمين وجعلتهم جميعاً من أرباب الضبطية القضائية وحلت صدور المجتهدين منهم بالنياشين وجعلتهم بدرجة مستخدمي المالية والداخلية مما حسدني عليه كثيرون — وسعيت في إنشاء كوبري الجيزة منعاً للزحام الحاصل بكوبري قصر النيل ، وتم ذلك فعلاً ، وأنشأت ميناءين عظيمين للتجارة بمصر كما سلف القول وبذلك تطهرت المدينة من الخرافق ، وخصصت مواقف مخصوصة للأمراكب حفظاً لماء النيل من الوساخة حتى لا تنفشي الأمراض بالقطر ، وعملت أعمالاً كثيرة أوجبت نحر رؤسائي ، فلا عيب على إذا ذكرتها ، وكلها مدونة بسجلات الحكومة الرسمية ، وختمت أعمالها بالحكومة بأن عرضت إلغاء مصالح الدخوليات للتخفيف من على عاتق المسكين فاعتيت حسب طلبي ، وكانت نتيجة ذلك اخلائي من مصالح الحكومة ، واني مسرور جداً لهذه التضحية لأنها من بعض واجبات المرء نحو وطنه إذا كان عنده ذرة من محبة الوطن ، ومحبة الوطن كما تقول العامة من الأيمان

.....

وفي عهد الخديوي توفيق توفي من كبار الرجال . شريف باشا وسلطان باشا وعلى مبارك باشا ، فشريف باشا سبق أن ذكرته ضمن الثلاثة المعروفين وهم نوبار وشريف ورياض ، وقلت عنه انه من اعظم القوم شرفاً ومحبة للوطن عالى النفس جداً ، وربما كان هو ورياض باشا الفردين المذنين لم يهابا اسماعيل دون جميع القوم ، واما المرحوم سلطان باشا فيجب ان اشرح

شرحاً وافياً عنه لاني اعرف الناس به

فالرجل من اصل مصري محض وربما كان في جدوده نسب من العرب
وانه كان من عهد نشأته ذكياً ذكاء مفرداً على انه لم يتعلم بالمدارس ولا سكنه كان
فصيحا جاداً واتفق اللغة العربية على كبر حق الاتقان، سمح الوجه طلق الحيا،
مفطوراً على حب الخير، كثير الحسنات للفقراء صاحب همم عالية لا يخيب
من يقصده، وكان بالطبع في اول نشأته كمثل سائر اولاد العمدة والاعيان
وكان اول منصب يتولونه اما العمودية ببلادهم أو المشيخة، وكان بينه
وبين المرحوم الشريعي باشا صداقة تامة، والشريعي وقتها كان ناظر قسم
قلوصنا اعنى مأمور مركز قلو صنا ومن المقبولين لدى الخديوي سعيد —
فطلب الخديوي يوماً ما من الشريعي ان يرشده على احد اعيان البلاد
اللائقين ليعينه ناظر قسم — فعرض جنابه الرفيع اسم المرحوم سلطان باشا
ووقتها كان الحاج محمد ابو سلطان عمدة لزاوية الاموات، فطلبه الخديوي
وكلمه فسر من اجوبته سروراً عظيماً، وقال له هل يمكنك ان تضيفني
ومعسكرى ببلدك؟ قال نعم يا افندينا، وهذا غاية شرفنا، فقال له بعد ثلاثة
ايام انا حاضر بطرفك، وفعلاً توجه الخديوي بمعيته ومعسكره، فنصب
لهم ابو سلطان الضيوانات — السرايدات — ومد الموائد على الطقس
العربي، فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً، وبعد ذلك قال له الخديوي — مع
سرورى التام من كرمك، لا أخفى عليك ان دارك الذى تسكنه لا يليق
بضيافة الملوك. وانا قائم الى السودان وتستغرق سياحتى خمسة اشهر.
فعند عودتي ساعرج عندك، وأنزل فى منزل غير هذا يليق باستقبال

الملوك ، فقال له سلطان باشا ، نعم يا أفندينا سيكون ذلك ، ويكون في هذا الأمر أكبر فخر لي ، وبعد سفر الخديوي ، قام سلطان باشا حالا وتوجه لمصر واجتمع بالمرحوم الشيخ على الليثي ، الذي كان بينه وبين سلطان باشا صداقة ، وطلب منه ان يرشده الى مهندس قدير ، كي يرسم له قصراً يريد انشاءه ويكون لا ثقباً بالجانب الخديوي ، فرشده الى مارغب وقام المهندس صحبة سلطان باشا الى زاوية الاموات ، ورسم له قصراً جميلاً في وسط حديقة مساحتها عشرة أفدنه وشرع بهمة لا تعرف السكال في بناء القصر وتنظيم الحديقة ، واستحضر له منروشات فاخرة . حتى عند عودة الخديوي كان كل شيء على استعداد ، فاندesh الخديوي من هذا العمل وزاد اعجابه وسروره من هذا الشهم الهمام وامر في الحال بتعيينه ناظراً لقسم قلو صنا محل الشريعي باشا ، ورقى شريعي باشا الى وظيفة وكيل مديرية بني سويف هذا كان مبدأ حسن لطالع المرحوم سلطان باشا ، وقد اظهر مهاراة تامة في وظيفته ، وغيره عظيمة لصاح الالهالي والدفع عنها ، حتى انه كانت في ذلك الوقت معظم اعيان الالهالي و ثروتهم وممتلكاتهم ، مرهونه في ايدي الاروام ، بسبب الربا الفاحش الذي كسر ظهورهم ، فاجتهد المرحوم سلطان باشا ، بانخلص اعيان مركزه من ايدي ارباب الربا وردها لاربابها ، ومن نوادره اللطيفة ، ان احد الاروام المذعوا اخو اجا بصيلي كان له مودة وصحبة شديدة مع المدير وقتها ، وكان اسمه حسن باشا ابو نيشانين . وبواسطة هذه المحبة كانت تصدر الاوامر المشددة من المدير بمأمرات كثر بان يساعده في خلاص اقساطه من الالهالي . ومن يتأخر منهم تسلم ارضه للخواجه رهناً

وقال ملكاً اذا اردت ، فحصل في عهد المرحوم سلطان باشا صدور مثل هذه الاوامر له ، فما كان منه الا ان كتب للعمد والاعيان وكل من عليه دين للخواجاء ، ان ينفذ امر المديرية في سداد الدين حالا وبدون تراخي ، وبعد الكتابة بهذا المعنى استحضرهم جميعاً ، وعقد منهم جمعية ، واصدر لهم امراً شفاهياً ، بأن ما كتب لهم هو تسديد نمرة ، وامرهم بان لا يسدد احد منهم ولو قرشاً للخواجاء ، ومن يدفع قرشاً يحاكم ، فترح المدينون ووقفوا في وجه الخواجاء — وظل الخواجاء يشكو والمدير يكتب وابو سلطان يبلغ ويشدد في التسديد ، كل هذا بأمر رسمي ، وبأوامر غير رسمية يأمرهم بعدم الدفع الى ان اضمحل حال الخواجاء بسببى جداً ، فوقع في جاه وعرض ابو سلطان ، فقال له ، الالهالي فقراء وانتم سبب فقرهم واصبحوا مجردين فمن اين يدفعوا رباكم ؟ اذا اردت ان اساعدك فيوجد حل واحد وهو ترك جميع النوائد من أولها الى آخرها ، وحصر ما دفع نقدية منك للالهالي مجرداً من كل فائدة ، ويقسط ذلك على عشرة سنوات ، يستثنى منها السنين التي يهيف فيها الزرع ، فذا وافقت على ذلك بكتابة يمكني اساعدك ، ونخلاف ذلك ليس في وسعي عمل آخر ، فقبل الخواجاء بغاية الممنونية هذه التسوية ، لانه كان قاطع الامل من الكل ، وعلى ذلك ردت جميع الاطيان لاصحابها ، وتقسط الدين بالكميفية السابقة الذكر ، ووفيت الاقساط من المحصولات ، فترحت الالهالي فرحاً عظيماً ، واصبح مركز قلوبنا اغنى مرا كز جميع المديریات بواسطة هذه العملية ، وترقى بعد ذلك ابو سلطان الى وكالة مديرية بني سويف ، ثم مديراً لروضة البحرين (اغنى مديرتي

الغربية والمنوفية مضافتين لبعضهما) واظهر كفاءة عظيمة جداً ، واخيراً
تعين في عهد الخديوي اسماعيل ، حاكماً عاماً للسعيد ، وصعد نجمه صعوداً
هائلاً اذ ذاك ، وقام بأعمال عظيمة يكل القلم عن حصرها لمصلحة الاهالي
والبلاد ، وكان حاكماً رؤوفاً عادلاً ، ولكنه كان حاداً عنيداً مع فاسدي
الاخلاق وقطاع الطرق ، لا يرحمهم مطلقاً ، واعرف له جملة نوادر عظيمة
منها ان الخديوي اسماعيل لما ضرب على الاهالي ضريبة المقابلة قال الخديوي
لسلطان باشا ان هذه الضريبة هي في مصلحة الاهالي لانها تخفف عليهم
فيما بعد ضريبة المال . فقال له المرحوم سلطان باشا ، في عرفي انا يا افندينا ان
هذه الضريبة ستكون القماضية على الاهالي فغضب الخديوي غضباً شديداً
وامر بنفيه للسودان . فتوسط المرحوم اسماعيل باشا المفتش بالعمو عنه وقال
لا بو سلطان أتريد اقامة الدين في مالطة ؟ كلما هنالك ستضرب بحياتك . فقال
ابو سلطان لو كانت حياتي تقدم ضحية وتعود بفائدة على الامة اقدمها
واكون الفائز . واخيراً أغنى الخديوي عنه وكافه بتحصيل تلك الضريبة بنفسه
ومن اعماله العظيمة اني سألته ذات يوم وكنت وقتها مستخدماً معه
بوظيفة معاون بالدايرة السنية قائلاً متى يرحم الفلاح من السخرة القماضية
هذه والكرباج ؟ فقال وهن انت تحب ان يعنى الفلاح من ذلك ؟ فقلت
له بسرعة . هذا عمل وحشي وكل انسان في قلبه شيء من الرحمة ضيقاً يود
ذلك من صميم فؤاده . ففرح جداً لسماعه هذه العبارة ثمني واظهر سروراً عظيماً
وزادت محبتي في قلبه ، ولكنه لم يعطني جواباً عن سؤالتي . بل ضل بخادشي
في أمور أخرى ، وغض النظر عن اجابتي

مضت الايام وتغيرت الاحوال ، وطلبت دول أوروبا تشكيل نظارة مختلطة ، وتقييد اعمال الحكومة بهذه النظارة المسؤولة ، وحينذاك دعاني المرحوم سلطان باشا وقال لي ، قد آن الاوان الذي تحقق فيه بغيتك من الغاء السخرة وابطال الكرباج ، تعال معي نقابل نوبار باشا رئيس النظاره فتوجهنا سوياً وعرض الباشا قيمة الضرر العائد من السخرة وانه في الامكان عمل كل شيء بواسطة المقاولات ودفع الاجرة ، ففرح نوبار باشا من هذا الاقتراح ، وقال له ارجوك ان تبلغ اقتراحك هذا ايضاً الى السير ريفرس ولسن ناظر المالية ، فتوجهنا لناظر المالية الذي عرض الامر على مجلس النظار وقرره في الحال

ثم عرض على نوبار باشا اشياء اخرى كثيرة منها ابطال الكرباج ومنها الغاء العوائد الشخصية ، والجملة ، وعوائد اخرى كثيرة ضربت على الاهالي ظاهراً وعدواناً ، فقال له نوبار باشا أنا موافق على الغاء كل ذلك ، ولكنني أريد منك أن تعرض هذا على السير ريفرس ولسن ناظر المالية لأن ذلك من اختصاصاته . فتوجهنا في الحال لجناح السير ريفرس ولسن وكنت انا ترجئاً لحال المرحوم سلطان باشا ، فيعرض كل ذلك عليه أوعد بقبوله ، ومما ساعد على ذلك حسن الاعتقاد والظن في اقوال واعمال المرحوم سلطان باشا عند الاورباويين ، وعند نوبار باشا ، فتم كل ماتمينناه ، وكان ذلك يوم سرور عظيم على الامة المصرية ، وعلى المرحوم سلطان باشا وانه اعني وكان المرحوم سلطان باشا يتمدق على الفقراء كثيراً ، فكانت في بلده زاوية الاموات مضيئة عملها للفقراء ، مفتوحة الابواب لكل من

أراد أن يأكل أو يشرب ، ومثلها بالمنيا ، ومثلها بمصر ، هذا خلاف
مراتب سنوية تقدم للجامع الأزهر الشريف ، ومثلها ترسل لمكة المكرمة
وهذا وهذا خلاف مراتب شهرية لعائلات عظيمة اخني عليها الدهر ،
وهذه الصفات العالية والأخلاق الكريمة . لم تتعد شخصه . فانه من عائلة
عددها كبير جداً ، ولكن كان هو زهرتها الوحيدة . لا ثاني له فيها ،
واذ كر انه لما مرض المرض الأخير ، أشارت عليه الأطباء بالسفر الى أوروبا
فسافر وكان اذ ذاك رئيس مجلس شورى القوانين ، فأخذ معه معية تليق
بمقدوره ، حيث كان في معيته شيخ من الأزهر . عظيم القدر اسمه الشيخ قراعه
(وهو الذي كان أخيراً مفتياً للديار المصرية) ومملوك اسمه على ، وترجمان اسمه
موسى بك شكرى ، فأشتد المرض عليه بأوروبا ، فبحث غني في كل الجهات
التي كان يعرف انى معتاد التوجه اليها . الى ان عرف انى موجود بنجيف .
فأرسل لى تلغرافاً يقول فيه ان المرض اشتد عليه وانه يريد ان يكون
سوية لجأوبته تلغرافياً انى حاضر بطرفه ، فرد على انه يود الحجيء عندي
بنجيف ويرجوني انتظاره ، فانتظرتة حسب الامر الى ان حضر ، فلما رأيته
حزنت حزناً شديداً . لاني وجدته خيالا ليس الا ، وحالته لا تستوجب
الاطمئنان . فقبلت يده وسألتة عن صحته ، فقال كما ترى ، وركبنا
سوية وتوجهنا الى الواكادة ، وأول عمل عمهته دعوت كل الأطباء المشهورين
في كايية جنيف ، وعملت كمنصحتو ، وطبعاً كان الكلام بالفرنساوي ،
والمرحوم بجهل هذه اللغة ، فقالوا ان الباشا عنده سرطان ، وقد انتهت مع
الأسف أيامه ، ولم يبق له سوى ايام معدودة ، فيحسن انك تنصحه بالسفر

ابلاده حتى يقضي ايام حياته الاخيرة بين عائلته ، فكنت اسمع هذه الالفاظ
واشعر انها صواعق تمطر على رأسي ، ووجهي رنمًا عن انفي يتغير من لون
الى لون ، فقمهم المرحوم سلطان باشا من غير ما اكلمه بشيء ما ، ان حالته
تندر بالخطر ولكن لم يعلمني ، وبعد انصراف الحكماء سألتني عما قالوه ،
فقلت له وانا رابط الجأش ، انهم قالوا ان الاطباء المصريين مخطئون ، لانهم
اشاروا على سعادتك بحضوركم لاوربا لان هواء البلاد التي هي مسقط
الرأس ، أحسن لهذا المرض في العلاج من كل علاج ، وقالوا حتى لا يتمكن
المرض زيادة يجب التعجيل بالسفر حالا لمصر ، فضحك ضحكة المستهزيء
وقال لي وهل نغش انفسنا حتى في الموت ؟ فقلت له وحلفت له ايمانًا غليظة
ان لا شيء من هذا مطلقًا ، انما احوال الجو هنا متغيرة في كل دقيقة و كل
ساعة ولا توافق مزاج رجل مضى حياته في طقس منتظم وقت الحر حر
ووقت البرد برد ، وتقلبات الجو هنا هي أكثر من كل ضرر عليك ، فدخل
في عقله كلامي هذا واعتقد ان كلامي حق ، وقال طيب وهل انت تحب
مرافقتي اذا عزمتم على العودة لمصر ؟ فقلت نعم هذا لا يحتاج الى سؤال
فقال قد حققت أملی فيك وزيادة ، وعلى ذلك قررنا السفر في اليوم الثاني
وقمنا بالفعل متنقلين من بلدة لاخرى على قدر ما كانت تسمح قوة الباشا
للسفر الى ان وصلنا بلدة جراتر ، وكانت تبعد عن تريستا خمسة ساعات ،
فمضينا تلك الليلة في لوكاندة اسمها (الفينيت اوتل) وقد لاحظت
على الباشا في تلك الليلة انشراحًا لم اعوده فيه من أول مرضه ، فسررت جدًا
وقلت ربما ان الله سبحانه وتعالى اخلف ظن الحكماء ، على ان سروري

وفرحي لم يدوما كثيرا ، لان المرحوم قضى آخر نفس في حياته في فجر تلك الليلة ، ولا تسأل عما دخل علي من الغم ، خصوصا واني لم أر في حياتي من مات امامي الا في هذه الدفعة ، ظلمت برهة وانا في حالة غيبوبة لا ادري شيئا ، واخيرا تيقظت وتذكرت ان علي واجبا عظيما نحو فقيد الوطن ، وصديق الحميم ، يجب علي القيام به ، فاول ما فعلته ان دعوت أحسن الاطباء مهارة ، وطلبت تفسير الجثة حتى انتقلها لمصر . ثم كتبت عنه بالجرائد الأوروبية ما كان جديرا به ووفيته حقه ، وبعد ذلك ابرقت للخديوي توفيق ان المرحوم سلطان باشا توفي لرحمة مولاه ، وانا حاضرون بالجثة بمد ان صار تحنيطها ، كتبت هذا وكنت اخشى كثيرا ان عوامل الحسد الشديد التي كانت في قلوب الجراكسة والأتراك ضده ، ربما تمنع اخذه لمصر لانهم كانوا يبغضونه جدا ، ولا ذنب له سوى كونه على قولهم فلاح ، ولكن منزلة المرحوم سلطان باشا كانت فوق كل ذلك -- ثم حررتا تلغرافا آخر للمرحوم نوبار باشا من هذا التميل عينه ، فورد لي تلغراف من الجناح الخديوي يشكرني فيه على العناية التي بذلتها نحو التفتيد . ويأمرني بان اقوم بالجثة مرافقا لها الى مصر -- وورد لي تلغراف من المرحوم نوبار باشا مثله ويقول ، انه في هذه الظروف لربما يكون لازما لي تقديم لالتزام المأمورية وعلى ذلك انه امر بلوم باشا وكيل المالية ، وكان وقتها مقيما بالاجازة في فينا ، ان يحضر اطرفي ويكون تحت امرى في كل ما يلزم لي من التفتيد ، فشكرت دولته على هذا الالتفات العظيم والعناية الكبرى ، وفعلا حضر عندي بلوم باشا وطلبت ثمانية جنييه لانه كان معي مبلغ آخر يكفي مع هذا ،

وتركت مصيفي باوروبا ، وتركت الحمامات التي كنت قد قررت لها لصحتي ،
وتركت كل علاج وقت بكل سرور لأؤدي واجبي الأخير نحو البطل
العظيم ، نعم لأن هذا الرجل الجدير بحبة الوطن وبنيه ، مهما فعلت من
الخدم لا يمكنك ان تؤدي له ذرة مما كان يفعله للوطن ، وفوق ذلك
محبتى الشخصية لاني كنت اعتبره بصفة الوالد لي

اقول هذا بعد وفاته لست منتظراً عن ذلك اجراً ولا شكراً انما
واجب الذمة يقضي على الاعتراف بالجميل

قمت بمصر وكلما تخيلت المرحوم امام نظري ، كان يشتد حزني ويفيض
دموع عيني رغم اني ، حتى وصلنا الى ميناء الاسكندرية حيث كانت
الحكومة بأمر الخديوي ونوبار باشا ، قد أعدت مشهداً فخماً لا ثقاً بقدره لم
يسبق له نظير — وبين هذا المشهد كانت موجودة أفراد عائلة الفقيد من
كبير وصغير وبعيد وقريب ، ولكن هل أحد من هؤلاء القوم تقدم
نحوي وسألني عما جرى أو اهتم بالسؤال كيف كانت أيام المرحوم الاخيرة
وأقواله ؟ لا .. لا .. لا شيء من ذلك قط - نعم إني عملت ما عملته كما
سبق الايضاح ، لما عليّ للمرحوم من الواجب ، رحمة الله عليه رحمة واسعة
الى أبد الآبدين

وهنا أكتفي بما قلته عن المرحوم سلطان باشا ، مع العلم بأنني لم أوفه
حقه تماماً

وأما علي مبارك باشا ، فانه كان عالماً من فحول العلماء منكباً دائماً
وأبداً على التأليف النافع للبلاد ، وكتب كثيراً من الكتب النافعة المفيدة ،

وكان ميالاً لرقى المدارس وتقدمها ، ومصلحاً كبيراً لنظامها ورقبها ، كما أنه كان أكبر مصلح للري ونظامه ، حينما تقلد نظارة الأشغال العمومية - فالرجل كانت كل حياته موقوفة للمجد في العمل النافع بالعلوم والمعارف وأظن أن أرض مصر لم توجد عالماً خدّم العلم أكثر منه ومن المرحوم رفاعة بك العالم الشهير الذي شهرته تغنى عن كل بيان وتحرير

وفي عهد الخديوى توفيق حدث أن قد حصل تحارب بين النيل لم يسبق له مثيل في إحدى السنين فكتبت وزارة الأشغال للدايرة السنّية تعلنها أنه غير متيسر نظراً إلى ما وصلت إليه حالة النيل من الانخفاض أن تزرع الدايرة السنّية صيفي سواء كان قطناً أو قصباً في ذلك العام ، فقامت وقعدت الدايرة السنّية لهذا الخبر ، وكررت الإلحاح على وزارة الأشغال لبحث طريقة تسمح بزراعة الصيفي ، حيث بدون ذلك تكون الدايرة سائرة في طريق الإفلاس ، بعد أخذ ورد طويلين قررت نظارة الأشغال أن تسمح للدايرة السنّية بزراعة الصيفي بالشروط الآتية:

(١) بما أن المياه في هذا العام ستعطى بالميزان لسبب قلمها ، فيجب الحرص عليها ، والحفاظة على استعمالها في الغرض المقصود ، حتى يتيسر الوصول لنتيجة مرضية

(٢) يجب أن يختار من الدايرة السنّية موظف ذو نفوذ ونشاط ويقظة ليكون ملازماً مفتش الري في توزيع المياه ومراقبة استخداماتها كإرشادات المفتش (وكان المفتش آنذاك رجلاً عالماً عظيماً من علماء هندسة الري وهو المستر براون ، الذي كان وكيلاً له زمناً طويلاً في تفتيش

الري معالى اسماعيل سرى باشا) فقبلت الدائرة هذه الشروط ، واختارت
الداعي وكلنتني بهذه المأمورية وكتبت لى جوابا رسمياً من مجلس الدائرة ،
يلقى فيه تبعة هذا الامر المهم على ، وبعد ان استلمت الخطاب المذكور دعاني
ناظر الدائرة السنية وهو المرحوم فريد باشا وقال لى ، انك وان كنت
استلمت خطاباً من المجلس يلقي على عهدتك تنفيذ امر مفتش الرى ، الا انى
بطريقة خصوصية احب ان لا تنفذ له امراً ، وان تعا كسه فى كل أعماله ،
فاندهشت اندهاشاً كلياً ، وقلت له كيف ذلك يا باشا تلقى على عهدتي
مأمورية بخطاب رسمي ، وتريد ان افعّل ما يوقعنى فى المسؤولية ، الامر
الذى لا يتفق مع شرفى بكلام غير رسمى يحسن اذا كان غرضك هكذا ان
تنتخب آخرّاً بدلاً عنى نخاف ودخلت عليه الوسوس كثيرّاً خشية ان انقل
كلامه للمجلس واخيراً قال لا يصلح خلافك لهذا الامر المهم ، وكلامي
هذا كان على سبيل الامتحان

واخيراً قت وتوجهت للمأمورية ولا زمت انفتش ليلاً ونهاراً وقت
بجميع ما طلب منى تنفيذه ، وكنت لا انام الليل ولا ارتاح النهار حتى نحصل
على النتيجة المرغوبة ، وكنت قاسياً جداً على المستخدمين الذين يهملون
تنفيذ التعليمات ، فكانت نتيجة اعمالنا نجاح لا يقدر ، فاق كثيرّاً فى نتائجه
السنين التى سبقت وكانت المياه فيها فيضاً عظيماً ، مما اوجب سرور وزارة
الاشغال سروراً عظيماً ، وعلى الاخص المستر براون مفتش الرى الذى
كتب لوزارة الاشغال خطاباً يقول فيه ان النتائج الباهرة التى تحصلنا عليها
فى نجاح زراعة الدائرة السنية فى هذا العام بعد ان كان مقررّاً عدم زراعتها

لشدة انخفاض النيل . إنما يعود الفضل فيها الى (قليني بك) الذي سهر
بمقطة تامة على تنفيذ ارشادات الهندسة بالدقة التامة بدون ان يعطي لنفسه
راحة مما يستوجب تهنته عليها ، ولا اخفى على الوزارة ان تعليماتى هذه
سبق ان اعطيتها لعمال الدائرة السنية فى السنين الماضية وكانت سنين
فيضانات عظيمة ، ونظراً لعدم قيامهم بتنفيذها لم تأت مزارعات الدائرة
السنية بمائدة تذكر بجانب فوائدها العام ، وذلك كله بفضل وجهودات
ومقطة قليني بك

وعلى اثر هذا الخطاب . حررت نظارة الاشغال خطابين احدهما (الداعى)
تهنئى فيه وتشكرني عما قمت به من الاعمال الباهرة فى سنة مثل هذه السنة ،
التي اتت بفوائدها لا تقدر والثانى مجلس الدائرة السنية ، كله ثناء عاطر على
قليني بك ذا كره فيه المحمودات العظيمة التي قام بها . وكان من نتائجها حصول
الدائرة على نتيجة فوق ما كان ينتظر

فغضب لذلك ناظر الدائرة السنية غضباً شديداً على اننى كنت
انتظر ، وانا امثل له فى هذه الاعمال ، ان يتنهج قلبه فرحاً وسروراً عندما
يسمع الثناء على موظف كان يمثله ، ولكن اللاف ترجم الامر بخلاف
ذلك ، وقال ان قليني بك يسعى للاتحاد والارتباط برجال الانجليز لغرض
واحد ، وهو استقاضي من وظيفتي لاختها لنفسه ... كلام غريب فى بابه .
وفكرة سخيفة ، كان لا ينتظر ان تصدر من رئيس مصلحة مثله ، وما رايت
المنافر يزداد بيني وبينه لهذا السبب ، دخلت عليه يوماً وقلت له . لاجل ان
اربح ضميرك وابعد عنك وساوسك . ارجو ان تدخل لمجلس

وتطلب منه احوالى على المعاش ، ففرح لهذا الخبر كثير أو قام في الحال ودخل عند زميليه اعضاء المجلس ، وهما مسيو جلوساك ومسيو هاملتون لانج . وقال لهما ان قليني بك التمس مني بالحاح احوالته على المعاش ، فاستغربا هذا الخبر وقالاه ، كيف يقوم لنا باجل الخدم وتكافئه بالا حالة على المعاش ، لا بد ان تكون اغضبته يا باشا ، فدعه ولنا معه شأن وستكون علاقته مباشرة بيننا ، لاننا في حاجة اليه ، فلم يمكنه يعارضهما وقام وطلب شاكر باشا الذى كان وكيل الدائرة السنية وقص عليه الامر ، وقال له والآن وسيعلم قليني بك خطتي نحوه وعطف المجلس عليه فيكون موقفي امامه صعباً ، فاحب انك تزيل من ذهنه كل اثر ضدى وتستدعيه معك لنتفاهم ، حتى في بقاءه نكون على اتفاق ، فخطبني في ذلك شاكر باشا فقلت له يا باشا ، لو علمت ماذا قال لي عند توجهي لهذه المأمورية ، وعلمت كيف قابل خطاب الشاء على مجهوداتي ، لعذرتني اذا كنت قلت له لا اريد البقاء في الخدمة فطيب خاطري شاكر باشا كثيراً . وكان الرجل عظيماً ووقوراً ، فاكثفينا ان قابلنا فريد باشا وتصادفنا ولكن ظلت اعمالى مرتبطة بالمجلس مباشرة

تلك احدى المسائل التى حصلت في زمن الخديوى توفيق . ومن نوادر اللطيفة عند ما كان رئيساً للوزارة ، انه كتب خطاباً لناظر الدائرة السنية (المرحوم فريد باشا) يأمره فيه ، بنقل دانيئوس باشا من وظيفة ناظر اشوان الدائرة باسكندرية الى وظيفة وكالة الدائرة السنية بمصر ، وفريد باشا كان رجلاً معروفاً بالغرور ، وظن انه يمكنه يستخدم ذلك الغرور مع أي كان ، فرد على دولة نوبار باشا بما يأتي « افندم ، تشرفت بورود

امركم القاضي بنقل دانيئوس باشا الى وكالة الدائرة السنية بمصر، وما كانت مؤهلات هذا الباشا لا تسمح بتقليده هذه الوظيفة، فأنا آسف من عدم امكاني تنفيذ هذا الامر »

فعندما وصل لدولة نوبار باشا هذا الخطاب، كبر على دولته هذا الامر جداً وراه مجرداً عن اللياقة والأدب والطاعة فعقد لوقته مجلس الوزراء وطرح عليه المسألة، فتقرر بالاجماع عزل فريد باشا وتعيين شاكر باشا الذي كان وكيلاً للدائرة السنية ناظراً لها بدلاً عنه وتعيين دانيئوس باشا وكيلاً له، وكتب نوبار باشا خطاباً لفريد باشا يقول له فيه: « وصلتني مكاتبتكم وحقان الرجال الغير اكفاء لا يليق تكليفهم بوظائف يعجزون عن اداء واجباتها. ومن هذا القبيل رأى مجلس الوزراء عدم اهليتكم للمركز الذي تشغلونه وقرر عزلكم وتعيين شاكر باشا بدلاً عنكم ودانيئوس باشا وكيلاً له وهذا اخطار لحضرتكم

ومما حصل أيضاً في عهد الخديوي توفيق، ان اللورد كرومر استحوذ واحتكر النفوذ المطلق في الحكومة المصرية، فكان في وقت من الاوقات، الحاكم التتعالى الاكيد، والامر الناهي، مما جعل هيئة النظر في حكم المدم، وما كان اذ ذاك رئيس النظر المرحوم نوبار باشا الذي كان ممثلاً علماً وذكاء وعظمة وكبرياء وأتفة لا حد لها، عز عليه أن يكون ناظراً مذلولاً. وما كان له صفة صداقة تامه ببعض كبار السياسيين العظام في أوروبا، وكانت له منزلة عظمى بينهم، نالها عن كفاءة واستحقاق، قام وقصد لندن، وتقابل مع كبار رجالها، وأخص بالذكر منهم اللورد سالسبري

والمستر غلادستون ، على ما أ تذكر - وعرض عليهم الحالة ، وقال لا يمكن لأي نظارة مصرية أن تقوم بواجبها طالما ان اللورد كرومر مسيطر على جميع المصالح وأعمالها ، والاتفاق بينه وبين النظارة ليس متيسر ، لأنه يريد أن تكون النظارة آلة تنفيذ لأوامره ليس الا ، فان أرادت الحكومة البريطانية أن تشتغل معنا بمحبة وإخلاص ، فخرجوها أن تسحب اللورد كرومر ، وتستعيضه بمن تشاء خلافة ، وظل يقنعهم بأدلة وبراهين على ضرورة ذلك الى أن اقتنعوا ، فقالوا له ، اذا كان الخديوى متفقاً معك على ذلك فنحن مستعدين لسحب كرومر وتعيين خلافة - وكان يعلم المرحوم نوبار باشا أن الخديوى متمامل من أعمال اللورد كرومر الذي أفقده كل نفوذه ، وأنه يود الخلاص منه - فأجاب نوبار نعم ، ان الخديوى متفق معي على هذا ، فأرسلت الحكومة تلغرافاً تستفهم فيه من الخديوي ، فكان جواب سموه خذلان لنوبار باشا ، حيث قال انه راض تمام الرضاء لوجود اللورد كرومر ، ولم يكن من دواع تستدعى تغييره ، فسقطت مساعي نوبار باشا باكملها وخجل الرجل خجلاً كبيراً ، ولكنه احتمل بصبر هذه الصدمة الغير منتظرة وعاد الى مصر ، وبعد عودته بأيام قلائل كان سائداً فيها الفتور بينه وبين اللورد كرومر ، وقد لاحظ ذلك الخديوي ، فأراد الخديوي أن يكسب كرومر وأن يخرج الحالة من هذا المأزق ، فأصدر قراراً بعزل نوبار باشا ، فكان هذا فوزاً لكرومر ، ولكن نوبار باشا وهو صاحب الدهاء العظيم ، لم يمكث طويلاً خارجاً عن الحكومة ، بل عرف كيف يزيل ما بنفس كرومر من جهته حتى استدعاه ثانية لرئاسه النظارة



﴿ علي مبارك باشا ﴾

وهنا أكرر القول ، بأن رفاعة بك وعلى باشا مبارك ربما كانا هذان العظيمان ، هما الفردان الوحيدان اللذان قاما بهضة العلم في مصر ، وانتشار المدارس ، وتثقيف العقول ، ودوام اشرافهما على التعليم ، فضلاً عن قيامهما بتأليف جملة كتب خدمة للعلم ، وتربيتها لكثيرين من الطلاب الذين فاقوا الاقران في جميع أعمالهم ، كالمرحوم قدرى باشا الذى له فضل عظيم على العلم لا يحصى ، ومجدى باشا ومحمد عثمان جلال بك ومسطفى بك رضوان وكثير غيرهم ، مما لا تعي ذاكرتى أسمائهم ، وكان يجدر بمصر تخليداً لذكر هذين البطلين العظيمين أن ينسب لهما تمثالان ، على أنى لا أنكر أن الذى شجعهما على هذه الأعمال الجلية وساعدهما بالمال الوافر والمكر الثاقب للوصول الى تلك الغاية هو الخديوى اسماعيل اذ يرجع الفضل كله اليه لأنه كان مولعاً بالعلم وذويه ومجداً فى انتشاره فى بلاده ، معضداً له بكل الوسائل

والخديوى توفيق له مآثرة عظيمة لا يجب اغفالها ، تلك المآثرة هى مدينة حلوان ، التى يقال بحق انها صنع يديه ، لأنه وان كان الذى وضع أساسها هو المرحوم الخديوى اسماعيل ، حيث أقام بها الحمامات المعدنية التى لها من المزايا ما لا ينكر . والدهر لم يمهلها لاتمامها ، فلخديوى توفيق تخليداً لذكرى أبيه ، وحباً فى العمران . وخدمة للانسانية قام بجهد واجتهاد فى تكوين مدينة حلوان ، التى كانت فى عهد أبيه لا يوجد بها الا الحمامات وفندق واحد ، وربما عد من المنازل لا يتعدى خمسين بيتاً ، فجعلها مدينة عامرة ، ربما أصبح بها الآن ما ينوف على الالف منزل . وخط فيها الشوارع العظيمة ،

وغرس فيها المنزهات وأوجد بها المياه والنور - فالفضل كل الفضل
راجع له في تكوين هذه المدينة العظيمة وعمرانها، لأنها قائمة بخدمة الإنسانية
خدمة لا تقدر، حيث يقصدها كثير من سكان ممالك أوروبا في فصل
الشتاء للاستحمام بمياهها المعدنية الشافية، رحمه الله، رحمة واسعة

وانى اقتصر هنا على ذكر بعض ما علق بذهني في عهد المرحوم
الخديوي توفيق لاني في الحقيقة لا اقصد تحرير تاريخ لمصر وما جرى
فيها أو تاريخ عن مجموع ما جرى في حياتي بأكملها، بل قصدت ذكر أشهر
الحوادث على حقيقتها لاني اكتسب كما قلت مشاهدته بعيني أو عملته بنفسه
ليس إلا على سبيل التذكار لما جرى في عهد حياتي مقلدا بذلك غيري



سمو الخديوي عباس حلمي باشا

مذكرات

في عهد سمو الخديوي عباس حلمي الثاني

سمو الخديوي عباس حلمي الثاني هو بالاجماع ذكى ذكاء منفرطاً ، لطيف المقلب يسحر بلطف بيانه جميع زائريه ، حتى مبغضيه ، كثير النشاط والحركة ، لا يكل ولا يمل من أي عمل ، حاضر الذهن ، يفهم من وجهك ماذا تريد منه ، مغرم بالحقول والمزروعات بجميع انواعها ، ميل لتربية الحيوانات ، محب للسفر ، تواق للاشتغال في كل ما يعود منه نفع مالى ، وكان منهمكاً في المسائل السياسية المرتبطة بالخلافة ، طامع في ان يكون يوماً ما خليفة للمسلمين ، أعنى ينقل الخلافة من السلطنة العثمانية للخديوية المصرية

ولا تنكر بهذه المناسبة فضل الانكليز في نظام قوانين البلاد والاعمال الحيدة التي اتاها بعضهم ونخص بالذكر منهم كرومر وملتر وغورست وبالمر ومنكريف واسكوت وهاملتون لانج وموني وونجت والنبى وكتشر — هؤلاء الرجال الذين تولوا أكبر المناصب العالية ، بعضهم نائبين عن الدولة الانجليزية بمصر ، وبعضهم موظفين بالحكومة المصرية قاموا بخدمة جليلة جداً لمصلحة البلاد ، يطول الشرح اذا اردت بيانها وتفصيلها ، وأخص بالذكر كرومر وكتشر ، اما الشخص الوحيد الذى كان شريفاً في اعماله يود الضرر لجميع الناس من بين الانكليز هو المستر متشل انس ، الذى كان

وكيلا لنظارة المالية المصرية ولذا كان مبغوضاً مكروهاً من الجميع ، سواء كانوا مصريين او انجليز ، حتى ان اللورد كرومر لما لاحظ ذلك امر بطرده من خدمات الحكومة المصرية باهانة وازدراء ليس عليهما من مزيد

تولى سمو الخديوي عباس حامي الثاني، عرش الخديوية المصرية بعد وفاة والده المغفور له الخديوي توفيق في عهد وزارة مصطفى فهمي باشا التي بادرت باستدعاء سمو الخديوي عباس من المدرسة التي كان يتلقى العلوم فيها بفينا ، فحضر على جناح السرعة وعمل له احتفال باهر بقدومه وجلسه على عرش آباءه واجداده ، وكان اذ ذاك يناهز الثامنة عشرة من عمره ، فمجرد جلوسه على كرسي الخديوية اظهر شغفاً زائداً بحب السلطة والتدخل في شؤون الحكومة وهو الذي اقدم ان يكون مجلس النظارت تحت رئاسته في كل انعقاد يعقد حتى يكون مأمماً بجميع المسائل ، وقد زين له الحزب الوطني الذي كان يرأسه مصطفى باشا كامل وقتها بانه من الممكن اخراج المحتلين من البلد بواسطة ما يبذل من المصاعى والمال ، ويكون الخديوي حراً في بلده مثل جده اسماعيل يفعل ما يشاء بدون قيد ولا شرط ، كما زين له الشيخ محمد عبده ، ومن كان على طريقته ، ان يكون خليفة المسامين ، فبذل مجهوداً عظيماً لتنفيذ تلك الاوهام بل وصرف اموالاً طائلة بحيث ضاعت عليه مجهوداته ومسايعه في هذا السبيل بأكملها ، التي ما كانت الا وسيلة قسدها المحيطون به ، انتفاعهم الشخصي وقد وقع في عهد سمو الخديوي عباس حامي الثاني كثير من الحوادث ائذ كرمها ، مسألة قلب الوزارة النهمية ، ومسألة الحدود ، ومسألة نفى غبطة البطريرك الراحل . والمؤتمران القبطي والاسلامي وغير ذلك

وزارة مصطفى فهمي باشا

فمسألة المرحوم مصطفى فهمي باشا هي : — كان هذا الوزير العظيم على رأس الوزارة حينما تولى الخديوي عرش الخديويه ، وكان رجلاً رقيق الاخلاق ، كاملاً ، مؤدباً ، ذكياً ، متواضعاً مع حفظ كرامة النفس ، هادي الطباع جداً . محبوباً عند العقلاء . مكروهاً عند الجبناء . لا اعتقادهم انه مع الانكليز ، فدخل في ذهن الخديوي ان هذا الرجل انكليزي الاخلاق بالمره ، وانه صنيعتهم وعدو الوطن وانه ... وانه ... الخ ، فأراد الخديوي ان يتخلص منه بعد ان اتفق على ذلك مع المرحوم بطرس باشا غالي وتجران باشا ، فانتهاز فرصة مرض المرحوم مصطفى فهمي باشا الذي كان ينتظر وفاته من يوم ليوم ، وكان الرسول المخبر له عن حالته الساعة تلو الساعة هو محمود شكري باشا الذي كان رئيس الديوان التركي بالسراي — كان هذا الباشا يكرر الزيارة يومياً لمصطفى فهمي باشا متظاهراً بالحب والاخلاص للوزير — وباطناً كان ينتظر ان يكون اول مبشر للخديوي بوفاة مصطفى باشا ، ولما يسوا من عدم وفاته ونظروا ان صحته اخذت في التقدم الى ان دخل في دور الشفاء ، أرسل الخديوي محمود شكري باشا ليخبر مصطفى باشا بان صحته تستلزم الراحة زمناً طويلاً ولذلك اشار عليه ان يقدم استغفاه لانه صمم على تشكيل وزارة جديدة . فكان جواب مصطفى فهمي باشا محمود شكري باشا . ان جناب الخديوي شاب لم يكن حاصله على تجارب كافية ، وأخشى عليه كثيراً لاني محب لليد الخديوي فانصحده ان لا يفعل امراً

الأ باستشارة وارشاد اللورد كرومر، فكبر على الخديوى ذلك وزاد اعتقاده ان الرجل صنيعه الانكليز وبغضه زيادة عما كان يبغضه، والفضل في ذلك لمحمود شكري باشا، لانه هيج الخديوى كثيراً باقوال لم تصدر من مصطفى فهمي باشا، فأصدر الخديوى بدون استشارة كرومر دكرتو باسقاط نظارة مصطفى فهمي باشا، وتشكيل نظارة جديدة برئاسة نخري باشا وعين فيها المرحوم بطرس باشا وتجران باشا ناظرين، فقام اللورد كرومر وقعد لهذا العمل، وأمر في الحال باسقاط الوزارة الجديدة واعادة النظارة القديمة، فاصبح مركز الخديوى مهدداً مهاناً، وانكر تجران باشا وبطرس باشا تدخلهما مع الخديوى وانهما لا يعلمان شيئاً، وتوسطا لدى كرومر ملتجئين التساهل في الامر بمعنى ان يترك شيء للخديوى وينجاب شيء من طلب اللورد حتى لا يستقط تموز الخديوى بالمرة، وأخيراً قر الرأي بعد أخذ ورد طويلين بعزل رئيس النظارة الجديدة نخري باشا، وان يحل محله رياض باشا الذي اختاره كرومر وانقضت المسألة على هذه الصفة ولكنها ابقت في النفوس شيئاً. ومع هذا فقد ظن الخديوى انه فاز فوزاً عظيماً، وأوعز بواسطة رجال المعية لرؤساء المصالح واعيان البلاد وأهاليها، على تقديم التهناني للخديوى، فتوجهت وفود كثيرة لعابدين واما من بينهم، فدخلت ضمن وفد كثير العدد من ذوات القطر وموظفيه، فاستقبلنا الخديوى بوجه فرح، وصدر منشرح مما يدل على انه مسرور من عمله الذي قام به، وانه نال شبه انتصار في سياسته وكان يحادث القوم بدون مبالاة. قائلاً هل انتم مبسوطون؟ «نعم يا أفندينا ربنا يطول عمرك»



(حسين نخري باشا)

هكذا كان جواب جميع الحاضرين ، وعلاوة على ذلك كان البعض يقول
« يا أفندينا ربنا كتب ان خلاص البلاد على يدك ، مارأينا هذا الحماس وحب
البلاد واهلها صدرا من غيرك . ربنا يخليك ، ويطول عمرك »

وكثير من الفاظ النفاق والتملق المعتاد عليها أهل بلادنا ، الذين يقولون
هذا القول وبمجرد خروجهم من الحضرة الخديوية كانوا يقصدون سراى
كرومر ، ويلتمسون التشرف بالمقابلة ويقولون

« لولا وجودك فى بلادنا عرفنا نخرج من بيوتنا ، وكناشحذنا العيش »
وهكذا كانت صفات بعض اهالى البلاد وممليقيها ، وربما كان ذلك ناشئاً
من الذل الذي قاسوه من حكم الاستبداد القديم الجائر ، والمظالم التي لا تحصى
فلهم العذر فى ذلك

وعند مصافحتى للخديوى فى ساعة الخروج ، استوقفتنى امامه لحظة
ويده فى يدى وسألنى — لم تتكلم — وما رأيك بالخصوصى — انا اعرف
فيك انك حر الفكر ، ولا تخشى ان تبدي رأيك بصراحة ؟

— فقلت يا أفندينا ، ان رأيي مخالف لرأي الجميع ، فان سمح مولاي
بالكلام فأقول

فقال — نعم

فقلت — يا أفندينا انه كل ما صار لا يفيد البلاد بشيء — ولا يفيد
أفندينا بشيء مطلقاً ، وغاية ما هناك يوجد شيئاً فى النفوس ، ربما ينتج
عنه تأخير بعض الاصلاحات النافعة للبلاد ، ومثل هذه الاعمال لا تخرج
الا نكاي من بلادنا ولا تخرج الاحتلال من عندنا ومصر باكملها وجميع

قواها ، كما يعلم أفندينا ، لا يمكنها تقف في وجه دولة الانكليز ، واذا كنا مسلمين بأن الاحتلال الانجليزي باق في بلادنا ، فكل عمل عدائي معهم يضر بمصلحتنا ، واذا فالذي أشير على أفندينا به هو ان يكون أفندينا واللورد كرومر على صفاء واتفاق تامين للعمل معاً في مصلحة البلاد ، وبدون واسطة النظر — والنظار بعد الاتفاق بين أفندينا واللورد كرومر على اى امر يتلقون الاوامر من أفندينا مباشرة اولى من استبعاد أفندينا عن اللورد كرومر ، والنظار يتفقون معه على كل شيء سواء رضي أفندينا ام لم يرض ، وفي النهاية يقبل مولاي بعملهم ، التوقيع على الاوامر وهم الذين ينالون نخر العمل عند المحتلين ، ويقولون ، تعبنا كثيراً مع الخديوي حتى اقنعناه بكذا وكذا ، كأن أفندينا وجدعلة لتقربهم من المحتلين ، وواسطة اثبات اقدامهم في مناصبهم وهكذا . . .

فاطرق أفندينا برأسه مفكراً وقال « نعم عظيم جداً واحسن طريقة في الاحوال الحاضرة الا اني ارى ذلك ثقیل على نفسى »

فقلت ، لأفندينا — اذا كان الامر كذلك ولا يقبله أفندينا ، يوجد امر آخر وهو جعل مناصب النظر مناصب شرف لا يتعاطى عنها مرتب سوى مصارين انتقال قدرها اربعون جنياً في الشهر كما الجارى في سويسرة وبعض ممالك اوروبا ، وبهذه الطريقة يمكن العمل بدون دسائس لان الناظر الذى يتقاضى مرتباً ضخماً يعز عليه حينئذ ان ترك مركزه فلذلك يسعى جهده للثبات في وظيفته بسبب ذلك المرتب ، ولو باع في سبيل ذلك ، البلاد ومن فيها

فقال — هذا صحيح وهذا الرأي يعجبني جداً ، ولكني هل اصل الى تحقيقه ؟ حيث كما تعلم ان هذه المرتبات الضخمة جعلت للنظار كثر من اشتراهم الاحتلال الانكليزي به ليكونوا خاضعين لارادته فقلت — يامولاي لا ارى حلالا لشكال الا قبول أحد هذين الامرين ، وأستأذنته وانصرفت واتذكر ان كثيرين ممن كانوا معي لاموني لو ما شديداً على جرائتي وصرحتي بهذه الطريقة مع الخديوي فضحكك ضحكا عالياً مستهزئاً وتركتهم غير مكترثين باقوالهم وقلت لهم لو بطل التملك لرأينا الحكام تنصلح حالهم ، الا في أوروبا تربي الحكام وتهذب أخلاقهم وتقوم اعوجاجهم وتعلمهم كيف يسوسون البلاد — ونحن مع الأسف نفسد أخلاق الحكام بدوام تملكنا الكاذب وتفاقنا الزائد ، وهذا مما أوجب خراب البلاد وذلك كيانهام مع الأسف ، فكونوا كما تريدون واتركوني أكون كما أريد

بسم الله الرحمن الرحيم

حادثة الحدود

كان الخديوي عباس — كما قلنا — شاباً متحمساً عندما جلس على كرسي الخديوية المصرية ، وكان محاطاً بدعاة الحزب الوطني ومتشبعاً بأفكارهم وكان قنصل عام فرنسا في ذلك الوقت المدعو المسيو دي ريفر سوه دواماً يشجع الخديوي في كل فرصة يراه متحمساً فيها ضد الانكليز ، ويؤكد له ان دولة فرنسا في ساعده مستعدة لتعظيمه في كل ما يطلب منها ، فطمع الخديوي في هذا القول ورأى فيه استئناساً عظيماً ، ولذلك عند ما قصد الحدود واستعرض الجيش الذي كان هناك ، عاب عليه بعض الحركات فامتعض من ذلك اللورد كتشنر ولكن لم يظهر امتعاضه بل كتم في نفسه الامر وبادر فابلقه الى اللورد كرومر ، فعند ما بلغ ذلك اللورد أقام الارض وأقعدتها وخابر وزارة الخارجية الانجليزية وتحصل منها على تصريحات فيما يفعل في هذا الموضوع كما أراد

في أثناء ذلك قام الخديوي من اسوان ماراً بالمديريات التي في طريقه الى مصر الى أن وصل الى مديرية الفيوم . وفي أثناء وجوده فيها قصد اللورد كرومر دولة رياض باشا وقال له ، اما أن يعلن الخديوي شكره للورد كتشنر وثناؤه للجيش ، وأما أن لا يعود الى مصر ، فيكبر الامر على رياض باشا جداً وقال له ، كيف ذلك هل لم يكن من حق الخديوي ، وهو الرئيس الاعلى للجيش أن يوجه انتقاداً اذا رأى ذلك ؟ فقال له اللورد انه لم يقصد بما فعله الا الخط من كرامة الانجليز الذين هم أساتذة الجيش

المصري ، وعليه فنعد ما حصل منه اهانة للدولة البريطانية، فقال له المرحوم رياض باشا ، اترك لي الامر وانا اسوى المسألة بما يرضيك عند عودة الخديوى لمصر — فقال لا يمكن أن يعود قبل أن يجيئني على ما صلبت. فوقع رياض باشا فى حيرة كبيرة ، لأنه استنتج من كلام اللورد ان مركز الخديوى مهدد ، فأراد أولاً أن يقابل قنصل عام فرنسا ويستطلع رأيه فى الامر . فعند ما قابلته تغير الرجل تغيراً كبيراً ، وقال لرياض باشا ان الخديوى أخطأ فيما فعل ، وأن دولة فرنسا لا يمكنها التداخل فى ذلك — فقال له يا جناب القنصل كثيراً ما قلت للخديوى بان فرنسا فى عضدك والآن تتبرأ كلية ، وأرى أن فى أقوالك المشجعة للخديوى ما دفعه الى هذا الامر — فقال أنا كلمت الخديوى عما اذا كان يوجد سوء تفاهم بسيط فى مسائل جزئية ، انه بواسطة ودية يمكننا تسويتها وبهذه الكيفية هرب الرجل من كل ما وعد الخديوى به

امام هذا لم يكن امام رياض باشا الا احد امرين اثنين ، اولهما ان يرفض اجابة طلب اللورد كرومر ولا يذهب الى التقيوم ، فيترتب على ذلك ضياع العرش من الخديوى — والامر الثانى هو أن يتوجه للجناب الخديوى ويشرح له الحالة من اولها الى آخرها ويستميله الى تسوية المسألة فبذلك يحفظ العرش ويخدم الوطن ، فالرجل رجح مصلحة الوطن ومنصحة العرش ان يقوم الى التقيوم بكامل هيئة مجلس الوزراء ويعرض الامر على الجناب الخديوى ، وفعلاً قام وفعل ذلك وسويت المسألة بالطريقة المعروفة

وبعد ذلك دخل الخديوى مصر وظل محتجباً بسر اى القبة زماناً طويلاً

عن المقابلات العمومية وعن كل شيء واخيراً حضر لعابدين وقابل كالمعتاد
جميع الناس وباشر الأعمال

اقول هذا لأنى كنت فى ذاك الوقت بحكم وظيفتى ملازماً للمرحوم
رياض باشا ومطلعاً على مجريات الامور ولا سحة مطلقاً لما قيل خلاف ذلك

الموتمران

القبضى والاسلامى

ومن الامور التى حصلت فى عهده ايضاً ان المرحوم بطرس باشا تولى
رئاسة النظارة خلفاً للمرحوم مصطفى فهمى باشا ، وكان اذ ذاك حائزاً لشقة
الخديوى التامة ، فمامكث الا اياماً قليلة فيها حتى قتل بيد اشيمة - والاقوال
كثيرة ومتعددة فى مقتله ، فمنهم من نسب مقتله لفسائس من بعض النظار
الحاقدين عليه ، ومنهم من نسب ذلك الى بعض رجال السراى والله اعلم
بالحقيقة .. فأظهر الخديوى عطفاً كبيراً عند قتل المرحوم بطرس باشا على
عائلته حتى انه خلافاً للتقاليد حضر بنفسه لمنزل بطرس باشا وعزى عائلته
كما وانه امر حرمه المصون بأن تعزى حرم المرحوم بطرس باشا فى منزله
وهذه رعاية لا تعادلها رعاية

حدث ان مقتل المرحوم بطرس باشا كان فى عهد السير غورست
مندوباً عن الدولة الانجليزية بدلاً من اللورد كرومر ، وقد كان الخديوى

ممتلئاً غضباً وخنقاً ضد السير غورست فأراد أن ينتهز هذه الفرصة للانتقام منه مع انه هو الذى اختاره أن يكون بدلاً عن اللورد كرومر وكان اذ ذاك قد ابتعد الحزب الوطنى عن مناصرة الخديوى في مبادئه فأراد أن يستخدم بعض صغار العقول من الاقباط بأن خدعهم بالقرل لهم ان لهم حقوقاً ضائعة ، وهو يود معاملتهم بالعدالة لولا ان مندوب الدولة الانجليزية واقف في وجهه ، فيشير عليهم بأن يعتقدوا مؤتمراً يقررون فيه طلباتهم واغراضهم ويرفعون به تقريراً لسموه وآخر للدولة الانجليزية

لم يكن الخديوى يقصد بهذا العمل سوى ان يخلق ارتباكاً للسير غورست يريد من ورائها اسقاطه اذا أمكن ولم يراع ان في ذلك امر يوجب الشقاق بين العنصرين فطلبت انا مقابلة سموه . و التمت ان يكون حين مقابلتى معه رئيس النظار بصفته مسؤولاً عن الامن العام . فأمر بحضورى امامه وكان في حضرته كبير النظار كما طلبت فقال لى ماذا تريد يا قلبنى باشا فقلت — هل افندينا يسمح لى ان اتكلم بحرية

فقال تكلم

قلت — افندينا لا يوجد احد في الدنيا يخرق بيته بيده . فقيام الاقباط الآن بعمل مؤتمر بالصفة التى اشير بها يعد اعلان حرب على اخواننا المسلمين حالة كونهم متمتعين في المعيشة وفي السراء والضراء كعائلة واحدة فاخشى ان يترتب على ذلك شيء مما لا تحمد عاقبته وتكون اضراره على الاقباط أكثر من المسلمين . وانا اعرف ان كلمة من سوكم تمنى على كل ذلك حتى نعيش مع اخواننا كما نعيش في هدو وسلام

قال — لا يا قليني باشا هذه مسائل دينيه انا لم ادخل ولا اندخل فيها
فقلت — يا افندينا انا لا اتكلم لا عن كنيسة ولا عن مسجد حتى
يكون العمل ديني ، انما اتكلم عن مصلحة عامة اقصد بها دوام السلام
والصفاء بين الاقباط والمسلمين ، وأخشى ان هذين الامرين المرغوب فيهما
يحصل ضدهما اذا قام الاقباط بعمل المؤتمر المنشود فاذا كان افندينا لا يأذن
بعدم عمد هذا المؤتمر الذي أخشى عواقبه كثيراً ولا يحب التداخل في
امره فليسمح لي أن اتكلم في شأنه مع السير غورست
فقال — لا مانع عندي من ذلك

عندئذ نطق رئيس النظار بعد ان كان ساكناً وقال : — يا افندينا
أمر واقع في البلد ، وتترك الشأن فيه لقليني باشا مع الاحتلال ولا تتداخل
فيه السراي ولا الحكومة ، امر يوجب الشكوك والظنون فليسمح لي
افندينا ان اتكلم فيه مع السير غورست

فقال — لا مانع ، ولكن في الوقت ذاته او عزل بعض من اشار عليهم
بعمل المؤتمر اذ انه ربما السير غورست يقف حجب عثرة في سبيل عقد هذا
المؤتمر ، فاذا وقع ذلك فيلزم ان يرفعوا شكواهم الى الوزارة الانجليزية
في لندن يطعنون في تصرفات السير غورست ، وفعلاً وقع ما كان ينتظر
وقوعه ، حيث ان السير غورست توقف في اجابة مطلب عقد المؤتمر
فأرسلوا شكواي عديدة وتهكموا فيها كثيراً على السير غورست حتى انه
فهم أخيراً ان هذه المناورات من الحديوي . وأخيراً وصلت أوامر من
لندن تسمح للاقباط بعقد المؤتمر ، وعقد فعلاً بأسيوط ، وصدروا قراراً بما

ارادوه مما أغضب المسلمين غضباً شديداً لدرجة أنهم قاطعوا الاقباط في جميع أعمالهم فتقابل السير غورست مع الخديوي وقال له ، انا عندى علم ان الذي حرض الاقباط على هذا العمل هو سموكم . فانكر الخديوي صحة ذلك فقال له السير غورست ، اذا كان ما يقوله الخديوي هو الواقع فلا يسمح للقائمين بهذا المؤتمر بالدخول للسراى ولا مقابلتهم ولا قبول طلباتهم ، فلم ير الخديوي بداً من قبول ذلك حتى يتظاهر بان لا يد له في هذا العمل ويدارى مناوراته في هذا الموضوع ، فأراد محمد سعيد باشا رئيس النظار من جهة أخرى ان يكسب عطف السير غورست عليه ويتقرب من الانجليز على حساب الاقباط فحسن للسير غورست ان يعقد مؤتمراً اسلامياً ضد المؤتمر القبطي في اعماله - وكان ذلك ولو لا ان تولى رئاسة المؤتمر الاسلامي رجل حكيم مشهور له ببعد النظر وهو المرحوم رياض باشا لترتب من جراء ذلك مذبحه بين الاقباط والمسلمين رأيت وانا الوحيد الذى ابتعد عن الاشتراك في هذه المؤتمرات ومقت وجودها ، انه اذا استمر الحال على هذا المنوال لحصل فشل عظيم وضرر كبير بالبلاد ، تضحى فيه مصالح كثيرين من العناصر ، فعرضت الامر بحذافيره على المرحوم اللورد كيتشر الذى تولى اذ ذاك منصبه - بمصر فاعجبه كثيراً فكبرى ورأى وشكرنى شكراً عظيماً على هذه الفكرة ، ودعا من فوره زعماء المؤتمرين وامرهم فى الحال بحل هذين المؤتمرين واعتبارهما كلتهما لم يكونا ، وكان امره امرأ نافذاً لا يستطيع احد مخالفته . فعادت المياه الى مجاريها وحل الصفاء والسلام محى العراك والخسار ، مما اوجد

رابطة ووحدة العنصرين وتضامتهما في خدمة البلاد كما يرى الآن
وانى اتباهى بكونى كنت من الذين سلكوا سبيل السلام والوئام

نفى البطريق

البطريق المتوفى كان لا شك رجلاً قديس ، صالح الأعمال ، طاهر
القلب ، بعيد النظر ، حكيم فى اقواله واعماله ، محترم عند المسلمين والنصارى
والافرنج ، وكان الانجليز يحبونه كثيراً ، كما ان الخديوى كان يحترمه
جداً للصفات التى ذكرت

ونظراً لكون السيد البطريق كان قد استبعد هو والانباء يؤانس
بناء على طلب فريق من الاقباط الى ديريهما ، فلقصة الخاصة بهذا النفى
والمجهودات التى بذلها فى اعادة البطريق والانباء يؤانس من منفاهما
فيكتفى بذكر بيانها وما تخللها من الحوادث بما نشره ضمن خطابه لاصحاب
جريدة المقطم المنشور بها فى العدد الصادر فى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧
تحت عنوان

للحقيقة والتاريخ

حضرات الافاضل اصحاب المقطم الغراء

اسمحوا لى قبل كل شيء ، ان اشكركم من اعماق قلبي ، شكراً جزيلاً ،
على ما خطه قامكم السيال ، من الآيات البينات ، رثاء للحبر الاكبر ،
قداسة البابا المعظم بطريق الكرازة المرقسية والحبشة والسودان ، والمدن
الخمس الغربية ، اشكركم شكراً جزيلاً على ذلك ، وعلى روايتكم تاريخ

حياته الممتلئ بالفضيلة والمحبة ، وخدمة الانسانية ، بما يطابق الحقيقة ، ماعدا الجزء الخاص بنفي قداسته . ونيافة مطران الاسكندرية ، فان بعض ماجاء فيه بعيد عن الحقيقة . وليس من رأى كمن سمع ، نخدمة للتاريخ . واعلاناً للحقيقة ، وان كانت مرة في بعض الاحيان ، تطوعت لبيان حادثة هذا النفي كما حدث والله على ما اقول شهيد

قلم فيما نشرتموه ، ان من فكر في نفي غبطة الخبر الاكبر هو الجناح الخديوي ، وهذا القول بعيد عن الحقيقة ، ولم يخطر لسموه هذا الامر مطلقاً ، بل ان سموه كان يحل غبطة البطريك كثيراً ويحترمه كل الاحترام . ويعتقد في صلاحه اعتقاداً كبيراً ، وكان اذا جاء ذكر غبطة البطريك في حديث يقول سموه لى (سيدنا غبطة البطريك قال لى كيت وكيت) وانما الذي خطرت له فكرة نفي السيد البطريك هو المرحوم بطريرك باشا غالى ، لانه رحمه الله كان يعتقد ان تربية ومبادئ غبطة البطريك ، لا تطابق مبادئ العصر الحاضر وما كان شغوفاً ، بتقديم طائفته ، ميالاً الى رفعة شأنها ، رأى بل اعتقد ان العلاج الوحيد لذلك ، هو ابعاد غبطة البطريك ، أي نفيه ، ونفي نيافة الانبا يواكيم اسكندرية الذى كان صديقاً حميماً للسيد البطريك ، وتسليم ادارة شؤون الطائفة الى المجلس المنى

جرت عادة الطائفة القبطية قديماً ان تخضع لمن يكون من ابنائها متقلداً منصب حكومي رفيع ، مسموع الكلمة ، نفذ الامر . فكانت تتخذه ، كبيرها وزعيمها . وقد شاهدت منذ نشأتى اربعة زعماء من هذا القميين . اولهم المرحوم وهبه بك جيراوى ، كان رحمه الله باشا سبجي الحكومة

(باشكاتب المالية) وهو محل ثقة اسماعيل باشا المفتش ، بل وسمو الخديوي
الاكبر اسماعيل باشا ، فكان اذ ذاك هو كل شيء ، وكان الاقباط يجلبونه
ويحترمونهم وينقادون لأى اشارة تصدر منه . وبعد وفاته ، حل محله المرحوم
دميان بك ، وبعده المرحوم عريان بك ، وبعده المرحوم بطرس باشا غالى
وكان رحمه الله آخر الزعماء المسموعين الكلمة ، والمحترمين عند الطائفة
وبعد وفاته ، اصبح كل قبضي مهما كان مركزه ، ولو كان نجاراً او حداداً
يعتقد في نفسه انه زعيم الطائفة وكبيرها

ذكرنا هنا هذه الممحة التاريخية تمهيداً لما يأتى

عندما اظهر المرحوم بطرس باشا رغبته فى تنهى السيد البطريرك ،
التف حوله جميع اعضاء المجلس المالى بالموافقة على رأى سعادته ، ولم يتخلف
احداً منهم سواي لانى كنت معارضاً اشد المعارضه فى نفى غبطة البطريرك
ونياقة المطران ، ولكن تغلب رأى الاغلبية ، وبقيت انا ثابتاً على رأى ،
واتذكر اسماء بعض من حضرات الاعضاء الذين انضموا الى المرحوم بطرس
باشا فى رأيه وهم المرحوم سعد بك عبده ، والمرحوم مقار باشا عبد الشهيد
والمرحوم باسيلي باشا تادرس والمرحوم عوض بك سعد الله ، وغيرهم من
الذين غابت اسمائهم عن ذاكراتي — واتفقوا على تقديم عريضة عن لسان
المجلس المالى لسمو الخديوي المعظم يلتسمون فيها ابعاد غبطة السيد البطريرك
ونياقة مطران الاسكندرية ، ورغب منى المرحوم بطرس باشا فى التوقيع
عليها فرفضت . فأرسل الى مقار باشا وباسيلي باشا ليقنعانى فلم اسمع لهما وظلمت
ثابتاً على معارضتى للنفي ، وبعد ما وقعوا على هذه العريضة بذلوا مساعي عظيمة

لدى رئيس النظار بالنيابة . المرحوم عبد الرحمن رشدي باشا ، واستعانوا بالمرحوم تيجران باشا الذي كان صديقاً حميماً لبطرس باشا . ففازوا باقناع دولة رئيس النظار ووافقهم على رفع عريضتهم للاعتاب الكريمة ، وفعلاً قدم تلك العريضة للجناب الخديوى ، وبذل مجهوداً عظيماً لا قناع سموه باجاية طلب نواب الطائفة مادام انهم يرون فى ذلك اصلاح شؤونهم ، فوافق الجناب العالي على اصدار امره الكريم بذلك اجابة لالتماسهم فقط فيتين لحضراتكم من هذا البيان ان نفي غبطة السيد البطريرك ونيافة مطران الاسكندرية لم يكن من بنات افكار سمو الخديوى ، وانما هى فكرة المرحوم بطرس باشا وكان يعتقد ان فيها خدمة لطائفه

وعقب ذلك أخذ السيد البطريرك بقوة عسكرية مسلحة مختموراً بها لتوصيله الى محل منفاد وهو دير اليراموس ، كما يؤخذ أحد المجرمين فكان يسير باش الوجه مع العساكر المرافقين له ، ويقول لهم لماذا هذا السلاح ، وهذه العدد ، وهذه القوة وأنا شيخ كبير لا قوة لى والله المقادر يفعل ما يشاء ويريد ، ويعقب على هذا الكلام بالصلاة لله ان يغفر للناس سيئاتهم

نفي البطريرك ونفى مطران اسكندرية بالطريقة التى ذكرت ، فقام جمهور الطائفة وقعد من جراء نفي البطريرك الذى يعدد الشعب قدسياً فى نظره ، ويركعون سجدات لاسمه . كلما ذكر احتراماً مقامه الدينى ولشخصه ذاتياً

وعاد عقب ذلك المرحوم مصطفى فهمي باشا من اوروبا وكان

رئيس النظر ، فظهر عدم رضا عما حدث ولأم عبد الرحمن رشدي باشا الذي كان نائباً عنه يوماً شديداً على ذلك ، ولم تمض أيام فلائل حتى سقطت وزارة مصطفى باشا ، وألغت وزارة الرجل العظيم رياض باشا ، فكان من باكورة أعماله الاهتمام بعودة غبطة البطريرك معلناً سخطه الشديد على تقيمه هو ونيافة مطران الاسكندرية حتى أنه قال للجناب الخديوي أنت يا افندينا لا تملك نفى فرد بسيط من الافراد الا بحكم يصدر من محكمة ، فكيف تأمر بنفى رئيس ديني جليل المقام يماثل بابا رومه ، وكيف يكون موقف سموكم لو التجأ البطريرك للمحاكم ؟ فتأثر الجناب الخديوي من هذه الالتناظ وقال هذا خطأ الذين طلبوا مني هذا الطلب ، ولكنني اطلب منك يا رياض باشا العمل على عودته سريعاً معززاً مكرماً وكان المرحوم رياض باشا ثقة عظمى بالداعي ومن جهة اخرى كان معروفاً عني انني غير راضي عن نفى غبطة البطريرك ، فلهذين السببين دعاني المرحوم رياض باشا وسألني عن احسن الطرق لاعادة البطريرك موفور الكرامة ، فأجبت ان احسن الوسائل لذلك ان يتقدم التماس لدولتكم من الهيئة التي التمت تقيمه ترجو فيه من الحكومة اعادة غبطة البطريرك لان في ذلك حفظاً لكرامتهم ، وترضية لغبطة البطريرك ، وعند وصوله الى محطة مصر ، يقابله كبار رجال الحكومة ، ويكون في انتظاره هناك فرقة عسكرية لتأدية التحية وعند تشرّفه بمقابلة سمو الخديوي يقلده بيده السكينة الوشاح المجيدى الأكبر ، فاعجب اقتراحي هذا دولة رياض باشا كثيراً ، فأقره وامر بتنفيذه ، ولكن لاحظت انه لم يرق في عيني المرحوم بطرس



عزیز علی شاہ

سقطہ

باشا . لكن هذا لم يكن داعياً لتأخير تنفيذ البروجرام ، فبادر المرحوم رياض باشا واصدر أوامره في الحال بعودة غبطة البطريك ونيافة مطران الاسكندرية واستقبالهما بالمحطة طبقاً للبروجرام المشار اليه ، فكان يوم قدومهما منصر يوماً سعيداً بل عيداً عظيماً لجميع الامة المصرية من مسلمين واقباط لما كان للرجل من منزلة في قلوبهم

ولقد تشرف على أثر عودته بمقابلة الجناب الخديوي فقلده بيده
الكرامة النيشان الحديدي الاول

ثم طلب مني المرحوم بطرس باشا ان اطلب من السيد البطريك زيارة ابنائه الذين كانوا غير راض عنهم نظراً لهذه الحركة ومنحهم البركة والعفو عما مضى

فليت الطالب وقت بالهمة احسن قيام لان محبة البطريك لي وتقديره لعواطفي نحوه جعلاه ممتلئاً ثقة بي فكان يجيبني الى كل ما اطلب . فقبل اقتراحي بتام الارتياح ، ودعاني الى مرافقته في زيارة حضراتهم وزارهم جميعاً ومنهم المرحوم بطرس باشا ، وكان يوماً معدوداً تجلى فيه السرور العام والاخاء التام

وبعد ذلك وقع الاتفاق بين هؤلاء برعامة المرحوم بطرس باشا وبين غبطة البطريك بان يلغي المجلس الملي الذي كان سبباً في ابعاده ولو مؤقتاً وتقوم مقامه لجنة مالية تتألف من أربعة لتحل محل المجلس في جميع اختصاصاته ووقع الاختيار على الاربعة الآتية اسمائهم وهم (الداعي) وحنّا بك ، باخوم ووهبه بك ، شلبي وبطرس بك يوسف وتسامنا ادارة العمل واشتغلنا أكثر

من عشرة سنوات مع غبطة السيد البطريرك لم تر في اثنائها معارضة في امر ولا توقف في عمل بل كان متفقاً معاً تمام الاتفاق، وهو الذي كان يرأس الجلسات دون سواه

فرأت اللجنة ان تستفيد من هذا التسامح العظيم من غبطته بان تطلب من قداسته تأليف مجالس فرعية مالية بجميع الجهات الموجودة بها مطارنة واساقفة فلم يتردد قداسة البطريرك في اجابة طلبنا وصدرت أوامره الكريمة بتنفيذ تلك الفكرة، والنات فعلاً تلك المجالس بجميع المديریات والمحافظات ولم تزل باقية للآن سائرة في عملها

هذه خلاصة مختصرة جداً في بيان مسألة نفى البطريرك الراحل ونيافة الانباء يؤانس مطران الاسكندرية، اردت بذكرها خدمة للتاريخ واعلاناً للحقيقة

فلبنى فسى

سان مورتر في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧

ظلت الحالة في هدوء واضمئنان بحسن سياسة هذه اللجنة الى ان قام فريق من الاقباط من الذين لا يرغبون في السلام ونهملوا اجلة مساعي لدى الحكومة بضرورة اعادة انتخاب مجلس ملى جديد على طريقة المجلس الذي انحل وفعلاً اجيبت طلباتهم، وتم انتخاب المجلس المنشود وجلس على كراسيه وأخذ في التشامخ والتعادي امام ذلك القديس الطاهر الانباء كيرلس البطريرك المتنيح فما احتمات نفسه العالية تلك الشمعة الكاذبة، فأمر بطرد اعضاء المجلس جميعاً وقفل باب الديوان الذي كانوا يجتمعون فيه والتنبيه عليهم بعدم العودة للدار البطريركية، وظلت الطائفة محرومة من وجود

هذا المجلس زمنًا طويلاً ، وتعطل كثير من مصالح الرعية الخاضعة لنظامه فأراد فريق من الأقباط ان يستعين بالمرحوم بطرس باشا في حل هذا الاشكال فقال لهم انا سحبت يدي ولا أريد من بعد الآن ان اتدخل في أى أمر له علاقة بالمجلس أو بالبطريرك فتوجهوا للسراي وشكوا امرهم لصاحب السمو الخديوي ، وبثو ظلامتهم ، فكان جواب الخديوي ، اني احترم هذا الشيخ احتراماً كلياً واعتقد فيه انه رجل بركة ومحبة فلا أريد ان افعل شيئاً على غير رضاه ، وهو في ايامه الاخيرة ، فرجع المشتكون بخفي حنين ، وطال زمن الانتظار بدون جدوى ، وأخيراً قصدتني هيئات متعددة من الأقباط قائلين : بطرس باشا سحب يده ، والخديوي لم يقبل عمل امر على غير رغبة البطريرك وحالة الطائفة أصبحت سيئة وتعطلت مصالحها ، وعلى الخصوص الطلاق والزواج وما يتبعها ونحو ذلك ، والخوا على ان اتدخل في الامر حتى اجد حلاً لهذه العقدة فتأثرت جداً مما قالوه لى ، ومنست فعلاً الضرر الحاصل بالجمهور . فوعدهم بأنى سأسمى جهد المستطاع في حل هذا الاشكال ، وفى اليوم الثانى قصدت دار المندوب السامي . وطابت مقابلة اللورد كتشنر ، الذي كان اذ ذاك عميد الدولة الانجليزية وعرضت عليه تفصيلات هذا الامر وقلت لجنابه ، ان هذا الاشكال عجز في حله المرحوم بطرس باشا وعجز في حله جناب الخديوي وكذلك هيئة الحكومة ، ولكن اعتقد ان الذى يحل هذا الاشكال هو جناب اللورد كتشنر فأجابنى اللورد بكل يشاشة قائلاً سيكون ظنك محققاً فقدم لى مذكرة وشرح لى فيها وضيفة المجلس الملى وماذا ضرر ،

واذكر الطريقة التي ترى أنها اوفق لعودة تشكيله

وعليه قمت بجميع ما طلبه اللورد مني وبعد ان درس المذكرة التي قدمتها لجناحه ، قرر اعادة المجلس المالي بتعديل في طريقة تخالف تشكيله الاصلى ، حيث رؤى ان يضم بين اعضائه فريق من الاكليروس

وأمر اللورد بادىء بدء ان يسير في هذه الطريق برضاء البطريرك فكفنى وكلف معي غبطة الانباء يوانس مطران الاسكندرية سابقاً ، وبطريرك الكرازة المرقسية حالاً بان نقابل من قبل نخامته السيد البطريرك ونعرض على غبطته ما استقر رأى نخامته عليه ، على انه كان مصمماً اذا رفض البطريرك ، ان يمضى في طريقه من حيث تشكيل المجلس على أى حال ، فقمنا بالأمورية لدى غبطة البطريرك واقنعناه بضرورة القبول حتى يكون العمل معروفاً انه صادر عن رغبة البطريرك وليس من طريق آخر

فقبل غبطته ذلك بكل ارتياح وتحصلنا منه على خطاب بأعضائه لمخامة اللورد بقبول ذلك المشروع لا بل وشكر اللورد على هذه العناية فطربت لهذا النجاح الباهر في تلك المأمورية التي ما قصدت من ورأىها الا خدمة الجمهور وظلمت اشتغل في وضع نظام جديد لهيئة مجلس ملى جديد تحول أخيراً بنحته ونظره وترتيبه الى صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا الذى كان اذ ذاك وكيلاً لوزارة الداخلية في عهد وزارة محمد سعيد باشا ، وما كان قد تصادف اثناء القيام بهذا العمل ان دعانا السير ونجت حاكم السودان العام لحضور الاحتفال بافتتاح كلية غردون بالخرطوم صدرت لي اوامر من اللورد كمتشرب بان اعتذر عن هذه الدعوى

وأظل مقبلاً بمصر حتى أبشر أمام مجلس شورى القوانين بحث مشروع المجلس الملى وصدور دكريتو بتنفيذه فصدعت للامر وحضرت لمجلس شورى القوانين أثناء المناقشة فى هذا الموضوع الى أن تمت المناقشة وصدر عنه الدكريتو اللازم لتنفيذه ، وقد لوحظ فى وضع المشروع الجديد أن يكون من بين أعضاء المجلس الثلث من الأكليروس ، وأن كل قرار يصدره المجلس يعد نافذاً حتى اذا كان لا يوافق عليه البطريرك ، ونص فيه أيضاً أن يتكون مجلس مخصوص برئاسة البطريرك وأعضاؤه المطارنة والأساقفة لبحث ايرادات ومصرفات جميع الأوقاف الخاصة بالاديرة من أى جهة كانت ومعرفة ما اذا كان السير على مقتضى شروط الواقفين ومتفق مع نظامات الحكومة ، ولكن للأسف لم يعقد هذا المجلس مرة واحدة ، ولم تراعى مصلحة الأوقاف من حيث ضبطها وربطها بأي وجه من الوجود بل ظلت منهبة لكل ذي نفوذ من الأكليروس ، فاستمر المجلس قائماً زمناً طويلاً حتى توفى البطريرك الى رحمة الله مبكياً عليه لأنه كان مع ما هو عليه من التقاليد القديمة وعدم الميل لكل اصلاح جديد ، كان قديساً يحب الفقراء والمساكين ، يعطف عليهم بكل ما يملك ، متواضعاً متقشناً ، عزيز النفس كبير الثقة حتى اننى أعلم أن المرحوم بطرس باشا كتب اليه مرة خطاباً يطالب فيه منه عمل بعض اجراءات كانت لا تتفق مع ارادة البطريرك ، فرد عليه جنابه بعبارة حررها بقلمه ذاتياً فى أعلى خطاب المرحوم بطرس باشا وهالك نصها

« عرضت على مسامعنا عريضةكم ولا نوافقكم على ما جاء فيها . . .
كيرلس »

هذا ما يدلك إن التواضع الكبير كان مقروناً بعظمة وأنفة يستخدمها
عند اللزوم، والرجل كان حافظاً لمركزه وكرامته بأكثر ما يمكن فكان يرسل
مندوباً ينوب عنه في كل اجتماع يدعى إليه

المتحف القبطى

نبذة تاريخية عن تأسيسه

وان كانت فكرة جمع الآثار القبطية من مخطوطات وآثار وتحف — أو حفظها ، قد بدأت حوالى منتصف القرن التاسع عشر ، الا ان روح الحياة لم تدب فى هذا المشروع الا حوالى سنة ١٨٨٢ حيث ادخلت الكنائس القبطية الاثرية — تحت اشراف لجنة حفظ الآثار العربية — وقد ساعد على ذلك هيمنة نظارة الاشغال العمومية ، واشرافها على الآثار المصرية فى ذلك العهد أى فى عهد نظارة المرحوم حسين نخري باشا لها الذى كان اعظم معضد لهذه الحركة وأكبر مهتم بها

وقد بدأت الحركة الفعلية للتنفيذ فى سنة ١٨٩٨ كما يتضح ذلك من محضر الجلسة نمرة ٨٠ من جلسات لجنة حفظ الآثار العربية التابعة لوزارة الاوقاف العمومية المنعقدة فى ٢ يناير من السنة المذكورة حيث تلا حضرة هرتس بلث الخطاب المسطرة صورته بعد ، المحرر لصاحب العطفة حسين نخري باشا :

« افدم — اعرض لعطوفتكم ، اننى قد شاهدت مراراً فى المحلات الاثرية القبطية الجارية زيارتها ، بعض قطع منقوشة ، أو اواح مشغولة وتيجان وأعمدة وأشياء أخرى أيضاً ملقاة بالأتربة وربما توجد قطع متخلفة من اسقف أو أبواب مطعمة وغيرها متروكة ومهملة بالحالة المذكورة

في الكنائس المتخربة ، وكل هذه الاصناف ليس لها فائدة في الجهات الموجودة بها ويؤول أمرها قريباً الى الضياع ، واعداد أثرها بالكلية ، كما هو جاري في جميع الاشياء المتروكة ، وبما ان المشروع الذي وضع لوقاية الآثار القبطية من التخريب (الذي قد نجح معظمه بمساعي عطوفتكم) سيجعلها بمثابة الآثار العربية تحت عناية اللجنة ، وبما ان مأمورية اللجنة نحو الصناعة القبطية المجهولة لا تتم الا في وقت توجيه الاهتمام الى الاجزاء المتخلفة من هذه الصناعة ، كما حصل في الاجزاء التابعة للاتيكخانة العربية فلاجل الوصول الى هذا الغرض اروم من عطوفتكم الاشتراك مع اللجنة في محاربة بطريكخانة الاقباط باستصدارها اوامرها الى وكلاء كنائس القاهرة وضواحيها ، بتسليم كل الاصناف الموجودة في الآثار ، أوفي الاماكن المتخربة ولم يكن لها لزوم ، الى حضرة نخله بك الباراني بناء على ارشادي بما ان غبطة بطريرك الاقباط الذي تشرفت بمقابلته صحبة رفيقنا حضرة البك انومي اليه ، وافق عليه وكلف البك المشي عنه ، انتخاب جناح من بناء كنيسة المعلقة ليكون مناسباً لايداع الانتيكات فيه . واجراء قيدها بدفتر خصوصي . وبذلك تكون المبادئ الاولى للاتيكخانة القبطية ، التي اعدادها ضروري ، ومن شؤون اللجنة النظر فيه ، لان الصناعتين العربية والقبطية قد سارتا مدة من الزمن في سبيل واحد ، وعلم الآثار لم يزل في مبادئ مباحثه لايضاح كيفية سيرهما في آن واحد ، ويكون من الوجوب علينا اجراء المقتضى لوصول علمائه الى التسهيلات المقتضية للمباحث المتعلقة بهما ، فاحسن طريقة لمساعدتهم ، التي يمكننا اتخاذها ، هي جمع كل ما تخلف

من هذين المصريين المحدثين بغاية الاعتناء ، الصناعة العربية في متحفها ،
والصناعة القبطية في متحفها ، وعليه أرجو قبول عظيم الاحترام افندم
ولقد وافق سعادة نخرى باشا على ما رآه حضرة هرتس بك ووعد
بعمل الاجراءات اللازمة لدى غبطة بطريرك الاقباط « هرتس »
وفعلا تقابل عقب ذلك عطوفة نخرى باشا بغبطة البطريرك ، واتفق
معه على جمع هذه الآثار والحرص عليهما من الضياع ، ووضعها في جناح مخصوص
بكنيسة المعلقة ، وهي الدار الموجودة فيها الآن ، وقد أصدر غبطة البطريرك
أوامره للمرحوم نخله بك البارائى بتنفيذ ذلك

ظلت الحالة سائرة في هذا الطريق بغاية النجاح الى ان توفي الى رحمة
الله تعالى المرحوم نخله بك البارائى فاختر غبطة السيد البطريرك الراحل
سعادة مرقص سميكة باشا خلفاً للمرحوم نخله بك البارائى وكان احسن
اختيار لان الباشا المومى اليه كدّ وجدّ وواصل العمل بهمة لا تعرف الملل
في تقدم هذا المعهد وتوصل بمساعيه لدى السكنايس والاديرة فجمع الشارد
من الآثار القيمة وكان غبطة الخبر الاكبر البطريرك معضداً لكل
مطالبه رغبة منه في رفع شأن هذا المتحف . ومما يوجب الغبطة والمرور
ان جلالة مولانا الملك المعظم ادام الله بقاءه رفق هذا المتحف بعين رعايته
ففضلا عن المساعدات المالية التى امدّها لترقيته امر بان يكون هذا المتحف
تحت رقابة الحكومة مشمولاً بمساعدتها حتى يكون فى صف المتكفّلة
المصرية ودار الآثار العربية فندعو الله ان يديم بقاء جلالة مولانا الملك
المحبوب زخراً للبلاد ممتعاً بولي عهده الكريم وسائر انجاله الكرام

الأوقاف بين إدارة ونظارة

في الجمعية التشريعية

وفي عهده علت الشكوى من الفوضى الحاصلة في إدارة الأوقاف العمومية ، فلأجل حماية هذه المصلحة الخيرية العامة من التلاعب ، ورفع الشكوى ، أمر اللورد كيتشنر ، الذي كان مندوباً سامياً وقتها ، بتشكيل نظرة تدبر حركة الأوقاف حتى تكون تحت رقابة الحكومة — كذلك رأى أيضاً أن حالة البلاد الزراعيه تستدعي انشاء نظارة للزراعة ، وفعلا تم تشكيل النظارتين في تاريخ واحد فلما عرضت على هيئة الجمعية التشريعية ميزانيتيهما مرت ميزانية نظارة الزراعة بدون معارضة ، وعند ما عرضت ميزانية نظارة الأوقاف ، وقف المرحوم سعد زغلول باشا معارضاً في ان تكون مصاحبة الأوقاف نظارة ومطالباً بأعادتها إدارة كما كانت ، ولما كنت رئيساً للجنة الميزانية بالجمعية التشريعية ، كان لابد لي من الكلام فقلت مامعناه اني آسف شديد الأسف ان اسمع من سعد زغلول باشا هذا الاعتراض وهو أعلم الناس بما وصلت اليه إدارة الأوقاف من الفساد ، وضياع حقوق الفقراء ، والتلاعب في إيراداتها مخالفة لنص الواقفين ، والآ ن ، وقد اراد الله ان يعمل لها نظارة ، تحميها وتحمي اموالها من التلاعب والفوضى وتقيم فيها ميزان العدل ، فيقوم الباشا ويطالب بأعادة تلك الحالة السيئة التي شكا منها طوب الارض والسماء ، مع ان هذه النظارة تشمل اعمالاً خيرية محض

فالواجب الانساني على كل منا ان يدافع عن كيانها ، ويحرص على نظامها
وأظن أن كل حضرات زملائي الحاضرين في هذا الاجتماع يوافقونني
على هذا الرأي - فبالاجماع قابلت الجمعية هذا الرأي بالتصفيق الشديد
والارتياح العظيم

وعند ارفضاض الجلسة ضحك ممي المرحوم سعد باشا وقال لي
لقد كسبت القضية يا قليني باشا فأجبتة على الفور « اني على يقين يا باشا ان
ضميرك مرتاح لذلك »



جيش الاحتلال

والدخوليات

ومن الحوادث التي حصلت في وقته أيضاً ، أن دعاني يوماً من الأيام المستر متشل انس ، وكيل المالية وقتها . وقال لي . لماذا تأخذ عوائد على جيش الاحتلال ولا تأخذ عوائد على الجيش المصري ؟ فقلت له ، انا اسير طبق القوانين ، وعندى دكريتو بذلك ، فان اردت أن تعفى جيش الاحتلال فاسع لاستصدار دكريتو : فقال لي ، كلامى يكفى ، فقلت له ، كلامك ليس دكريتو فقال لي ، اذاً نحن غير متفقين مع بعضنا فقلت له نعم ، لانك تريد أن تخالف القانون ، وأنا اريد التمسك بالقانون ، فغضب ورفع الامر الى السير غورست الذى كان آنئذ مستشاراً مالياً فضحك منه كثيراً وقال له ، الحق بيد قلبنى باشا . وأخيراً دعاني السير غورست وقال لي ، لماذا اغضبت متشل انس ؟ فقلت له ، هو يريد ان اسير مخالفاً للقانون ، وانا وظيفتى الحارس الامين على القانون . فقال نعم ، الحق بيدك . وانا افهمته ذلك ، ولكن نريد حلاً لهذه المسألة بدون الالتجاء الى دكريتو . فقلت له ، نعم يمكن وجود طريقة : الحكومة المصرية تدفع لجيش الاحتلال مبالغاً سنوياً على سبيل الاعانة ، فاذا كان جيش الاحتلال يتنازل عن الفى

جنيه من المقرر اعانة له من الحكومة في نظير معافاته من عوائد الدخولية يمكننا ان نمكتفي بقرار وزاري في هذا الموضوع وننفذ رغبة المستر متشل إنس ، فأعجبه هذا الحل كثيراً وعمل به

طائفة الكياليين

ومن المسائل أيضاً التي حدثت في ذلك العهد ، انه كانت توجد طائفة شريرة جداً . تغتال حقوق البائع الشاري ، وهي طائفة الكياليين ، فبناء على التماس مجلس شورى القوانين ، قد أجريت استبدال الكيل بالوزن ، بعد أن عملنا معدلات دقيقة — فشكى الكياليون شكاوى عديدة عن ذلك ، فلكي أسترضاهم ، استخدمتهم كشياليين ينقلون الغلال من المراكب ويضعونها على الموازين ، يأخذون ذات الأجرة التي كانوا يتقاضونها على الكيل ، فامتنعت شكاواهم وانتظم العمل ، فعز هذا الامر على المستر متشل إنس وكيل المالية — الذي قالت انه كان رجلاً شريراً ويسعى للشر أينما وجد — فرفع تقريراً في حق لفخامة اللورد كرومر ، وقال فيه ان قليني باشا أصبح ذا نفوذ يخشى من عواقبه لأنى أرى فيه خطراً جسيماً . حيث كلمة منه قضت على فئة الكياليين بالخضوع والاستمكانة خوفاً من تأييده ، مع أن تلك الفئة مشهورة انها فئة شريرة جداً ولا تقبل الخضوع لأي أمر حكومي ، فالتفت نظر فخامة اللورد لذلك

وكان جناب اللورد رجلاً حكيماً ، بعيد النظر فدعاه وقال له بدلا من ان تشكر موظفًا عمل بحسن سياسته على اسكات الفتنة وتنظيم العمل ، تهجم عليه بهذه الالفاظ الدالة على قصر النظر ؟ أنا مرتاح جداً لما فعله قليني باشا ، وقد كتبت له جواباً أشكره على ذلك

الرتب والنياشين

وكان يعزى للخديوي انه يتصرف في الرتب والنياشين تصرفاً واسعاً حتى ضاعت قيمتها ، واصبحت متداولة بأيدي الذين لا يستحقونها ، فغضب لذلك اللورد كتشنر ، واوعز للخديوي بان الرتب والنياشين جعلت مكافآت لمن يقوم بأعمال ممتازة ، وعليه فهو يشير عليه بالكف عن اعطاء رتب ونياشين . فقال له الخديوي ، ان مسألة الرتب والنياشين حق خاص بي فقال اللورد ، انا بلغت سموكم أرادة الدولة الانجليزية ، فان كنتم تخالفونها عرفوني ، فعند ذلك رأى الخديوي ، أن من الحكمة أن يوافق اللورد على ماطلبه ، وكف مدة طويلة عن إعطاء الرتب والنياشين

سمو الخديوي عباس والخلافة

وكان سمو الخديوي عباس شغوفاً بأن يكون يوماً من الأيام ، الخليفة الأعظم للمسلمين ، واستخدم لهذا الغرض جملة وسائل ، منها استخدام



(حسين رشدي باشا)

نفوذ مسامي الشام والأناضول ، وصرف مبالغ طائلة في هذا القليل ، وكان أول من دفعه لهذه الفكرة الشيخ محمد عبده ، واسكنه بعد جهاد طويل ، خاب أمله ولم ينجح في قصده ، وترتب على ذلك ، ان الباب العالي علم بكل وسائله ، فأراد التخلص منه ، وافكر انه كان حصل شبه اتفاق بين السلطنة العثمانية واللورد كتشنر ممثل الدولة الانجليزية . عن عزل الخديوي ، وتعيين البرنس حلیم ، الذي كان الصدر الأعظم للسلطنة ، خديوياً لمصر ، ولكن توأجت عراقيل في الطريق فلم يتم الأمر ، ولما كانت للخديوي عادة سنوية ان يطوف بأوروبا وتركيا ، نصح له بعض المقربين اليه بعدم زيارة تركيا في ذلك العام ، حيث أصبح مكروهاً فيها ويخشى على حياته . فلم يصغ لهذه النصيحة ، وقام فعلاً اليها كعادته ، وفي اثناء زيارته في يوم من الأيام للباب العالي ، أطلق عليه الرصاص وهو خارج من السراي ، فأصابته جمة إصابات خطيرة ، ولكنه نجا من الموت بعد علاج طويل ، وقام بعد ذلك لأوروبا كعادته ثم تصادف اعلان الحرب الكبرى فأظهر ضلعاً كبيراً لألمانيا وتركيا ضد فرنسا وانجلترا ، مما أوجب كدراً الانجليز كدراً كبيراً الذي كانت من نتائجه خلع الخديوي ، وكان ذلك في عهد وزارة المرحوم حسين رشدي باشا الذي كان في آن واحد قائم مقام الخديوي ، وأوعز مراراً للجناب الخديوي عند بدء الحرب بأن يعود الى مصر حالاً ويحتفظ بمركزه مبتعداً عن معصية الحرب في أوروبا ودسائسها فلم يصغ لنصائحه فكان ما كان

وبهذه المناسبة نذكر ان المرحوم حسين رشدي باشا كان اقدر رجل في علمي السياسة والقانون وكان رأيه حجة في كل معضلة مع ما تحلى به من الصفات ، فإنه كان رقيقاً متواضعاً ، قل ان يوجد نظيره الآن ، وهو الذي رأس لجنة الدستور في عهد جلالة الملك فؤاد الاول ، وكانت آراؤه سديدة جداً فيعود اكبر الفضل له في نجاح تلك اللجنة التي كنت من اعضائها

وبعد ذلك تولى الحكم المغفور له السلطان حسين كامل ، وكانت ايامه في الحكم معدودة ، وحصل انه عندما قامت نار الحرب العالمية ، ان وشى للحلفاء في حق سمو البرنس عمر طوسون ، انه معاد لهم ، متآمر مع مراکش وتونس والجزائر ضد الحلفاء ، وانه يمدهم بالاموال والاسلحة ، وكنت اذ ذاك انا ايضاً بأوروبا ، فلما عزمنا على المجيء لمصر ، كان سبقني سمو البرنس عمر مارسيليا ، وانا وآخرون من المصريين لحقناه بمارسيليا على نية قيامنا جميعاً بمصر ولكن بمجرد وصول سمو البرنس عمر مارسيليا حجزته السلطة العسكرية ، وامرته بعدم الرحيل الى مصر ، فلما وصلت انا الى مارسيليا ، عدته لما بيني وبين سموه من الصداقة ، فرد لي الزيارة بالفندق الذي كنت نازلاً فيه ، ولما كان سموه محاطاً بجلمة جواسيس ، فقد اتخذوا من هذه الزيارة ، تضامني معه فيما نسب لسموه ، فصدرت لي انا اوامر اخرى من البوليس بعدم مبارحتي مارسيليا ، وعدم عودتي الى مصر ، فهالني هذا الامر جداً من تلك المعاملة التي لم اعرف لها من سبب



﴿الامير عمر طوسون﴾

فتظلمت لرئيس الجمهورية الفرنسية ، ولوزير خارجيتها ، وكان اذ ذاك
المسيو ديلكاسيه ، وكنت اعرفه شخصياً ، كما تظلمت للمورد كتشنر الذي
كان وقتها وزيراً للحربية بريطانيا وبلغت المرحوم حسين رشدي باشا الذي
كان رئيس الحكومة المصرية وقتها ، وبعد زمن اعطى لي الاذن بالسفر
الى مصر ، فسررت كثيراً لحل هذا الاشكال ، ولكن سروري لم يدم
طويلاً ، اذ بمجرد ركوبى الباخرة ، عاد الى نحو نصف الليل رئيس ابواليس
السري وامرني بالنزول منها واخذني في اتوموبيل مسلح وأخبرني انه
صدرت اوامر جديدة تخالف التصريح الذي اعطى لي وقال لي ، أي القنديق
تريد السكنى فيها ، فقلت له القنديق الذي يقيم فيه سمو البرنس ، فقال لي
انصحك ان لاتفعل ذلك ، لان في هذا الامر صعوبة ضد صالحك
فقلت له ، انا متهم بذات التهمة انتهم بها سمو البرنس ، فلا داعي لانفرادي
في السكنى بعيداً عن أي انسان يسلمني على حالي . فما يجري عليه يجري
علي والامر لله ، وعلى ذلك سار بنا الاتوموبيل وأنزاني في دائرة القنديق الذي
كان به سمو البرنس ، وفي الصباح دهش سموه اندهاشاً كبيراً لما رآني فمضت
لسموه ما جرى ، فتكدر جداً ، ومن جهتي ، عدت فكررت الشكوى حتى
صرفت على التلغرافات التي أرسلتها لهذا الغرض كل ما كان معي . وبعد مدة
مضت كنا محاطين فيها بالجواسيس أينما ذهبنا — صدرت أوامر جديدة بالسماح
لي بالعودة الى مصر . وفي هذه الدفعة عدت بدون معارضة . وعندما وصلت
الى مصر ، أراد البرنس حسين ، (السلطان حسين) مقابلي ليستعلم عن حالة
البرنس عمر ، فترددت بل رفضت المقابلة خوفاً كونه يمسني ضرر جديد

خلاف الضرر الذي مسني بسبب البرنس عمر ، وبعد أن اطمأنت على الحالة تشرفت بمقابلة سموه فعاتبني على التأخير فعرضت لعظمته السبب ، وأخيراً قال لي ، ماذا ترى في حل مشكلة البرنس عمر فقلت ان سمو البرنس يعلق كل آماله على سموكم ويعتبركم كبير العائلة ، ويترك لك الامر في خلاصه من هذه الورطة ، فقال لي ، اني فعلت كل ما أستطيع ، ولكن لم تنزل العقبات أمامي — فقلت له هل استغثت باللورد كتشير ، أنا أعرف أنه ذو همة عالية ، ومروءة كبرى ولو التجأت اليه لأجاب طلبك ، فقال لي هذا آخر خرطوش عندي ، فأخشى أن أستعمله الآن فيخييب ، ولكن أبقيه للفرصة المناسبة ، وتحدثنا أخيراً في أحوال أخرى واستأذنته وانصرفت وظل البرنس يجاهد وساعده على ذلك توليته العرش المصري وحينئذ انك أمكنه نجاة سمو البرنس عمر من موقفه الذي كان فيه ، وحضر مصر معززاً مكرماً

وهذه حسنة من حسنات المغفور له السلطان حسين ، وسأتي على صفاته وأعماله جمة وبياناً عند ذكر تاريخه

البرفسس نازلى هانم فاضل

والسلطان عبد الحميد

ومن الحوادث التى حصلت فى زمن سموه ، أن البرنسيس نازلى هانم فاضل وهى البرنسيىة الوحيدة التى كان لها صالون تقابل فيه رجال السياسة والوزراء وكبار القوم وكانت ذكية جداً وملمة بالسياسة العامة فى العالم وغيورة جداً على مصالح مصر وتركيا بنوع خاص — ان هذه البرنسيىة ترجمت كتاباً للمرحوم مصطفى فاضل باشا والدها ضد مظالم السلطان عبد الحميد وتصرفاته المخزية لتركيا ، وطبعته فغضب لذلك السلطان المشار اليه وطلب من سمو الخديوى أن يسترضاهما بكل ما لديه من الوسائل مع جمع الكتاب وارساله لجلالته ففعل سمو الخديوى برغبة السلطان ، وكانت دائماً وابدأ تذم تصرفاته وتعييب عليه جميع اعماله ، وأخيراً دعاها لجلالته لاستانبول ، فنصحتها جميع اصحابها — وأنا منهم — خوفاً عليها فلم تسمع النصيحة ولبت الطلب وذهبت للاستانة ، ولكنها احتاطت لذلك كل الاحتياط فبمجرد وصولها للاستانة، ذهبت مباشرة لدار السفير البريطانى ونزات عليه ضيفه كريمة. وفى اليوم التالى ووصولها توجهت للسراى السلطانية وكان بصحبتهامندوب من قبل السفير ، فمجرد ما علم بذلك جلالة السلطان قابلهما احسن مقابلة ، وانعم عليها بكثير من الهدايا والعطايا ونحو ذلك، وعادت معرزة مكرمة الى مصر ، فتوجهت لزيارتها والسلام عليها ، فوجدت لهجتها

قد تغيرت نحو السلطان ، وكان كل كلامها نحوه بالمديح والتعظيم ، فقلت لها سبجان من يغير ولا يتغير ، ماهذه لهجة كلامك قبل توجهك للاستانة فقالت أجابك عن سبب ذلك في الحال — وامرت احد توابعها ان نحضر صندوقاً في حجرة نومها وقالت (وقد فتحتة أمامي وفيه ما يبهراً إلا بصار من جواهر كريمة ثمينة جداً من لآليء وماس ونحو ذلك شيئاً كثيراً) يا حبيبي هذا ما أوجب تغيير لهجتى نحو جلاله مولانا الخليفة ، فضحكت كثيراً

ومن نوادرها الغريبة انه كان عرض عليها من قبل السراى ان تتزوج بأحد الوزراء المشهورين وكان المرحوم فخري باشا فرفضت ، وعرض عليها ان تتزوج بأحد البرنسات فرفضت ايضاً ، وأخيراً عملت سياحة وفي اثنائها عرجب على تونس فأعجبها شاب تونسي اسمه بوحاجب ، فتزوجت به في الحال ، وهذا الشاب كان نجل قاضى المحكمة الشرعية بتونس . ثم عادت لمصر فقالت لي ماذا يقولون عن زواجي بالتونسي بعد أن رفضت وزيراً وأميراً ، فقلت يا برنسياسة يقولون عنك . انك مجنونه ، فضحكت كثيراً وقالت لي ما أعظم سروري لسماع ذلك فاندھشت لسرعة الخاطر وعظيم الذكاء اللذين اسكتننى بهما

وكان لها جملة نوادر كثيرة من هذا القبيل وكانت تحب ركوب الخيل كما كانت جميلة الطلعة ، حلوة الحديث ، لا يشبع من مجلسها ، وتحب كبار القوم والعلماء ، ورجال السياسة ، محترمة عند الجميع ، وكان اللورد كرومر يعزها جداً ويحب زيارتها كثيراً

الانعام برتبة روملى بدر بك

ومن المسائل المعروفة التى حصلت فى عهده أنه عند ما توفى المرحوم
يطرس باشا غالى ، استقر رأى سموه مع اللورد كتشنر عند تعيينه مندوباً
سامياً لدولة بريطانيا بمصر ، ان الذى يكون خلفاً للمرحوم بطرس باشا
هو (قليني باشا) وفعلاً أرسل سمو الخديوى وفداً يهنئنى بذلك وكان هذا
الوفد مؤلفاً من الشيخ علي يوسف ، واسماعيل باشا أباضه وشوقى بك
أمير الشعراء وحامد بك العلايلى ، كما أن اللورد أرسل لى تهنئة عن ذلك
عن يد أحد موظفى نخامته

كل ذلك حصل ولم يكن لى مسعى فيه ولا علم به سابق — فقدرت
ثقتهم بى تقديرًا عظيمًا وقدمت الت شكرات اللازمة ولكن لم يرق هذا
العمل فى نظر رئيس النظار وقتها فعمل جهده المستطاع لعدم نجاح هذا
الامر ، فقال للورد كتشنر عني ، انى رجل الخديوى ، وانى سأعمل كل ما
يرضى الخديوى ، وتلك عقبة فى طريقنا — ثم قال للخديوى عني ، انى
رجل كتشنر وسأعمل كل ما يرضى رغبات كتشنر ، وتلك عقبة
أمامنا — وزاد على قوله هذه العبارة « انى لا أنكر ان قليني باشا أقدر
اللائقين لهذا المنصب وأعظمهم نفوذًا ونشاطًا ، ولكن وآسفًا لقد أبدت
ما أعرفه فى أمياله حتى لا تلومونى فيما بعد ، فكان ذلك موجب لانتقاد
الجهتين لفكرته . وصرف النظر عن اتمام ما وعدنا به من تعيينى وزيراً
ونظراً لكون الجهتين كاتتا مرتبطتين بهنئتيهما لى ، ففكرتا فى منحي

رتبة روملى بلر بك وهي أكبر رتبة فى الحكومة المصرية كانت لا تعطى
الا لكبير الوزراء — هذه هي مسألة الانعام برتبة روملى بلر بك
وفى عهد كل من المغفور له الخديوى توفيق وسمو الخديوى عباس
ظهر من الباشوات البارزين ، رشدى باشا — سعد زغلول باشا — بطرس
باشا — نخري باشا — ابراهيم فؤاد باشا — ثروت باشا — عدلى باشا —
صدقي باشا ، محمد محمود باشا ، يحيى باشا

رشدى باشا

فرشدى باشا ، كان أكبرهم علماً ، وأعظمهم نشاطاً ، بعيد النظر ،
قوي الحجة ، نزيه جداً ، متواضع ومحبوب من الجميع ، وهو الذى كان قائم
مقام خديوى حال انتشار الحرب العالمية ، وفى عهده سعت الدولة
الانجليزية لخلع الخديوى فحاول عبثاً أن يعالج هذه المسألة فلم ينجح ، ومع
ذلك فقد خدم الخديوى خدمة جليلة فى حفظ أملاكه وأمواله بعد أن
كانت الحكومة الانجليزية صممت على مصادرتها ، وقد تقلب على جملة
وزارات وكان فى آخر حياته رئيساً لمجلس الشيوخ وقد توفى الى رحمة الله
تعالى فخسرت البلاد بوفاته خسارة لا تعوض وقد بكاه الجميع بكاء مرّاً

زغلول باشا

أمره أشهر من أن يذكر — فقد كان شهاماً ، وشخصية بارزة ،
وخطيباً لا يعادله خطيب فى البلاد وهو الذى قاد الحركة الوطنية بما هو



محمد زغلول باشا

عن القطف

معروف عند الجميع وكتب الكتاب عنه بما هو جدير به وقد توفي
لرحمة مولاه

بطرس غالى باشا

كان رجلاً عظيماً ، متقدماً في الفكر ، قوي الحجة ، قادر على إدارة المصلحة التي
يتولاها ، وكان محبوباً عند الأقباط وقد تقلد في آخر حياته رئاسة مجلس
النظار ولم يدم فيها طويلاً حيث اغتالته المنية بيد مجرم أثيم ، وقد تشعبت
الاقاويل على من تواطأوا على فقد حياته

فخري باشا

كان رجلاً عالماً في علم القانون ، طيب القلب ، واسطة خير ، لا يسعى في
ضرر أي إنسان ، بل يسعى ما استطاع في عمل الخير وخدمة الإنسانية
وهو الذي شكل المحاكم الأهلية ، وتولى وزارة الخزانة مراراً ، وأحسن
إدارتها ، كما أنه تقلد في جملة دفعات عند سفر سمو الخديوي لآل أوروبا منصب
قائم مقام خديوي ، وقد قام به أحسن قيام ، وهو أول من وضع أساس
المتحف القبطي ، وقد توفاه الله مأسوفاً عليه من الجميع وخلف ولدين
أحدهما معالي محمود فخري باشا سفير مصر الآن ببافيس وهو في طباعه
وصفاته كأبيه محبوباً من الجميع

ابراهيم فوئاد باشا

كان عالماً علامة في علم القانون ، بسيطاً جداً ، بعيداً عن المكر والخداع
طيب القلب ، وقد تولى نظارة الحفانية مراراً ، وقد توفي لرحمة الله

ثروت باشا

كان بعيد النظر جداً ، ثابت الفكر ، ذا دراية بالادارة من الطبقة
الاولى - سياسياً كبيراً جداً احسن من جميع من تقدموه في ذلك وكان
نشطاً للغاية ، فكاكاً للمعضلات ، وله مواقف عظيمة جداً في البرلمان
والجمعية التشريعية ، تشهده بطول الباع ، وهو الذي تولى المفاوضات
ببلاد الانجليز ، لعمل معاهدة ، وعلى يديه نالت مصر استقلالها وبواسطة
مجهوداته مع اللورد اللنبي تحصلت البلاد على تصريح ٢٨ فبراير الذي اعطي
البلاد استقلالها ومن مقتضاه دعي السلطان بالملك - وتعينت المفوضيات
المصرية في سائر أوروبا ، وعمل الدستور وتشكل البرلمان وكان يعاونه
في ذلك صدق باشا والفضل كل الفضل في هذا الامر يعود الى ثروت
باشا واللورد اللنبي وصدق باشا وقد توفي الى رحمة مولاه مبكياً عليه من الجميع

عدلى باشا

رجل رزين ، متأن ، بعيد النظر ، شلي المزاج ، يحب بلاده ، تولى



نروت باشا

عن المقتطف



عدي يان باشا



﴿ محمد محمود باشا ﴾



حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والمالية

رئاسة مجلس الوزراء ثلاث دفعات واطهر فيها حسن السياسة بما اوجب
الثناء عليه وآخر مركز شغله كان رئيساً لمجلس الشيوخ

صدقى باشا

رجل مفرد في فن الاقتصاد وحسن الإدارة ، بعيد النظر ، دمث
الأخلاق ، سياسي عظيم جداً مشهود له بطول الباع في كل امر تولاّه ،
وهو الذي يدير دفة البلاد الآن ، كثير النشاط كبير الذكاء ، خطيب مفوه

محمد محمود باشا

رجل تحلى بجميع المواهب الحكومية شريف النفس شديد البطش
عند الاقتضاء متفان في حب بلاده وخدمة وطنه حسن العلاقة مع الدولة
الانجليزية ، محترم الجانب

توفيق نسيم باشا

رئيس ديوان صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول الآن . اجتمعت
فيه الأخلاق الحسنة والنزاهة بأكملها متضام في علم القانون والإدارة
محب للناس ، بعيد عن الشر ، هادئ الطباع لا يتكلم إلا إذا سئل ، كثير
العمل ، وقد تولى مراراً مناصب وزارية ودفعتين رئاسة الوزارة ، فبرهن
على مقدرة عالية ، وبعد نظر ، وكثير من الكياسة

يحيى باشا ابراهيم

رجل محب للسلام ، بعيد عن الدس ، متضلّع في علم القانون ، اشتغل
زمنًا طويلاً بالمحاكم وبرهن على نزاهة عالية ، وعين وزيراً مراراً ، وتولى
رئاسة الوزارة وكان فيها مثال الصدق والامانة والتواضع

زيور باشا

رجل متضلّع في اللغة الفرنسية لدرجة انه حينما يتكلم بالعربية
تتغلب عليه الفرنسية فيترجمها بها وهو قدير متضلّع في الفنون والمعارف
سريع الخاطر كثير النشاط ، أقرب الى العقيدة المسيحية من العقيدة
الاسلامية (اردت بهذا ان اتعالى في القول بعيد عن التعصب بالمرّة) يتمثل
في شخصه بالصراحة باكملها جريء في جميع أعماله بعيد عن حب التظاهر
يميل الى معاشرّة الاجانب ميلاً غريزياً حلو الحديث يميل الى الآلات
الموسيقية والاغاني الافرنجية كثيراً محبوباً في الاجتماعات الافرنجية
بحديثه اللطيف

وقد تقلد الوزارة مراراً واخيراً تقلد رئاسة الوزارة وكان على اتفاق
تام في سياسته مع الانجليز

مدحت يكن باشا

رجل جميل السمائل ، وفيّ في عشرته لاخوانه ، بعيد النظر عاقل رزين
عالي النفس مع التواضع ، يميل بطبيعته الى الاشتغال دائماً بالأعمال المالية ،
وهو ثري مشهور تقلد جملة مرات الوزارة تارة للخارجية وتارة للزراعة
والآن هو رئيس بنك مصر وقد نال البنك في عهده شهرة عالية واعمالاً
موفقة يرجع الفضل فيها لسعادته وسعادة طلعت حرب باشا ومن عاونهما

ونذكر بهذه المناسبة ان أول من ايقظ الحركة الوطنية ونبه لها اذهان
الامة هو المرحوم عرابي باشا ، كما سبق القول عنه ، وقد خلفه المرحوم
مصطفى باشا كامل الذي شكل الحزب الوطني وقاده للمطالبة بالاستقلال
واقامة الدستور ، وكان شاباً نشيطاً جداً جريئاً للغاية ، خدم البلاد خدمات
لاتنكر ، وهو الذي اوقد شعلة حب الوطن في اذهان الطلبة أولاً ثم اهالي
البلاد ثانياً ، وتمكن بمجهوداته ان جعل الامة كتلة واحدة ، تسير في نشاط
وجراءة مطالبة بالاستقلال وايقظها من غفلتها بعد ثباتها العميق وبث في
روحها جراءة كانت معدومة بالرة ، فله فضل عظيم هو وخليفته محمد فريد
على النهضة الوطنية مما تحفظه لها البلاد على ممر السنين

وبهذه المناسبة نذكر هنا كلمة عن الاحزاب التي تشكلت في ذلك
العهد وما قامت به من الاعمال — سبق نشرها بجريدة الاهرام الغراء رداً
على بعضهم تحت عنوان «للحقيقة والتاريخ»

للحقيقة والتاريخ

كلمة عن الأحزاب في مصر

على ذكر ما نشرتموه بجريدتكم الغراء صباح اليوم بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عبدالله افندي حسين فيما يختص بالأحزاب الثلاثة أحدها الحزب الوطني ومؤسسه المرحوم مصطفى باشا كامل والثاني حزب الإصلاح ومؤسسه المرحوم الشيخ علي يوسف ، والثالث حزب الأمة ومؤسسوه جماعة من الأعيان برئاسة المرحوم حسن باشا عبدالرازق أرى انما لما ذكرتموه أن أشرح لكم الأغراض التي من أجلها تشكلت تلك الأحزاب الثلاثة ولو أنها واضحة نوعا ما في بروجرام كل حزب منها - وهذه الأحزاب الثلاثة كانت في عصر سمو الخديوي عباس

فرييس الحزب الوطني المرحوم مصطفى باشا كامل خلق بطبيعته غيور محبا لوطنه مجاهداً عظيماً في نوال البلاد استقلالها وإدارة شؤونها دستوريا كما هو واضح ذلك في بروجرام حزبه الذي ألفه وهو شاب لا يتجاوز الثمانية عشر عاماً

قلنا انه خلق بنظرته مغرم بحب الوطن وكل ما يرفع شأنه ، وقد ابتداءً وهو تلميذ في المدرسة بتحرير جريدة دعاها « المدرسة » وظل يكتب فيها ما يؤيد مبادئه ويستميل اليه تلاميذ المدارس الذين انتهوا باعتناق مذهبه وظلوا يعضدونه في أعماله وأقواله

ولما أن أنس من اخوانه الطلبة ذلك والتفوا كلهم حوله ابتداءً



(المغمفور له مصطفى باشا كامل الرئيس الاول للحزب الوطني)

يخاطب الجمهور الذي ارتاح كثيراً لجهاده العظيم لخدمة مصالح الوطن
فعندما تحقق من الجميع الميل الى مبادئه شكل الحزب الوطني ووضع له
بروجراماً وهو الذي نشرتموه اليوم

وقد سر من عمله هذا الجناب الخديوي ؛ عضده بماله وتقوده ما استطاع
وسار شوطاً عظيماً يجاهد جهاد الأبطال بطلب استقلال البلاد ووضع
دستور لها ، ولم يقعه أي أمر للوصول لهذه الغاية فظل يسافر الى أوروبا
وينحطب في الجماهير ويطالب حكومة إنجلترا باستقلال البلاد وسحب
الجيوش الانكليزية الخ الخ . . . واستعان بكثير من الدول الأخرى لهذه
الغاية مثل فرنسا والمانيا وأمريكا وغيرها

ولكن لسوء تفاهم حصل بينه وبين سمو الخديوي امتنع سموه من
تعضيده سواء كان مالياً أو أدبياً على ان هذا لم يقعه عن الاستمرار
في مجهوداته

فنهضة الأمة بأسرها ويقظتها من سباتها ومعرفة حقوقها والمطالبة
بها يرجع الفضل فيها لمبادئ ومجهودات المرحوم مصطفى كامل باشا ، وحيث
ان الاعتراف بالجميل أمر واجب رأيت من واجبي إعلان ذلك

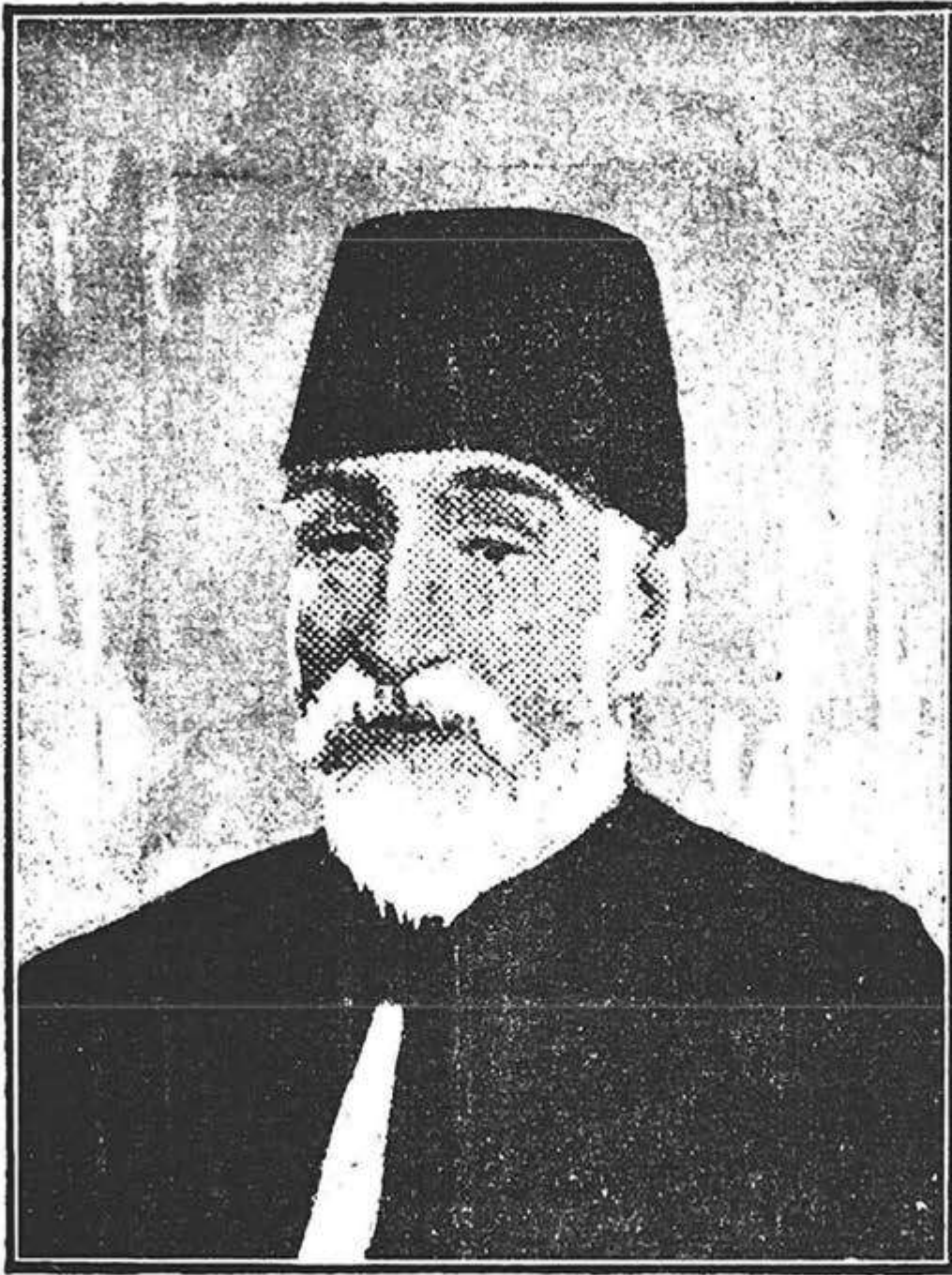
حينئذ فكّر الجناب الخديوي في إيجاد حزب آخر امام هذا الحزب ،
فاوعز لحضرة الاستاذ الفاضل المرحوم الشيخ علي يوسف الذي كان اذ
ذاك مقرباً لسموه وكان صاحب ومحرر جريدة المؤيد وهو من العلماء
البارزين المشهود لهم بطول الباع والروية بتشكيل حزب يدعى حزب
الاصلاح وقد صادفت هذه الفكرة قبولا عظيما عند المرحوم الشيخ علي

فقام بتشكيل حزب الاصلاح ووضع له البروجرام الذي نشرتموه بجريدة
الاهرام الغراء اليوم

بعد ذلك رأى جناب اللورد كرومر ان السراي تسمى في تكوين
احزاب وضمن ان الغرض الاول منها هو مناهضة اللورد واقتصارها على
خدمة اغراض الخديوي ، ف اشار على بعض اعيان البلاد الذين كانوا في ذاك
الوقت يخشون سطوة الخديوي بان يشكلوا حزباً ويدعونه حزب الامة ،
والغرض من هذا الحزب ان يكون ضماناً لخدمة مصالح الشعب ، فشكل
أعيان البلاد هذا الحزب وأختاروا له رئيساً من بينهم هو المرحوم حسن
باشا عبد الرازق ، واطمن انه كان يضم كثيراً من الاعيان . اتذكر منهم
المرحوم محمود سلمان باشا والمرحوم يحيى باشا (والد سعادة امين يحيى باشا)
والشواربي باشا وكثير غيرهم ممن لم تحفظ ذاكرتي اسمائهم ، وانشأوا له
صحيفة تسمى الجريدة ، كان رئيس تحريرها سعادة الكاتب الكبير لطفي بك
السيد ، وكانت هذه الصحيفة لسان حال الحزب كما ان جريدة المؤيد كانت
لسان حال حزب الاصلاح وجريدة اللواء كانت لسان حال الحزب الوطني
ومنا كانت الاسباب والاغراض التي دعت لتكوين هذه الاحزاب
الثلاثة مجهولة فأردت خدمة للتاريخ وبياناً للحقيقة ان اشير اليها لا يقف
الجمهور على الواقع مـ

السكوتتيننتال في ٢٤ مايو سنة ١٩٣١

وكذلك بمناسبة ذكرنا الحوادث التي حصلت في عهد الولاية الثلاثة،



عمر اطفی باشا

نذكر مقام به بعض امراء البيت المالک بطريق الاجمال فأقول أن لكل من أصحاب السمو الامراء الكرام البرنس عمر طوسون والبرنس محمد على والبرنس يوسف کمال والبرنس کمال الدين حسين، أعمالاً مجيدة برهنوا بها على محبتهم للوطن ، فضلاً عن الخدم الجلیة التي أدوها بأقوالهم وأعمالهم ودفاعهم الشديد عن مصلحة البلاد في كل فرصة سنحت لهم مما يحفظه الشعب المصري لسموهم بالذکر الجلیل

في عهد

الخديوي اسماعيل ايضاً

في زمن الخديوي اسماعيل كانت وظيفة الحاكم العام للتسييد تتبادل بين ثلاثة من ذوات مصر هم سلطان باشا وقاسم باشا وعمر لطفي باشا . واذكر انه في عهد عمر لطفي باشا حين ما كان متقلداً تلك الوظيفة انه وقع في غرام سيدة جميلة من اقليم بنى سويف وهي راقصة شهيرة تدعى المظ فوقع بها ولعاً شديداً وكان وقتها يوجد في عاصمة كل مديرية مأمور ضبطية لتلك العواصم ولما كان مأمور ضبطية بندر بنى سويف مبعوضاً من فئة من اهل البلدة دبوا حيلة شيطانية لخلاصهم منه وكتبوا عريضة باسماء مختلفة وقدموها لعمر لطفي باشا قالوا فيها : ان هذا الرجل واقع في غرام السيدة المظ ودائماً يترك اشغاله ليتواجد معها للمسامرة الى آخر ما قالود من هذا القبيل . فعندما تلاها باشا هدد العريضة ملاء الغضب

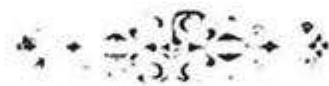
وحب الانتقام من شخص صغير ينازعه في عشيقته فرفع تلغرافاً في الحال الى الجناب الخديوي (اسماعيل) قال فيه : انني علمت من مصدر سري ان مأمور ضبطية بندر بني سويف هو جاسوس للبرنس حلیم وينبادل معه المكاتبات وان في بقاءه في البلاد المصرية خطراً. ولما كان الخديوي لا يشك بصحة اقوال حاكم عظيم يشغل اكبر الوظائف اصدر امراً في الحال تلغرافياً بارسال ذلك الموظف مكبلاً بالحديد تحت الحفظ الى الليمان أعنى الى البحر الأبيض بالسودان

والرجل مسكين فقد كان بريئاً من هذه التهمة وما يشعرا ان وقوة عسكرية قبضت عليه فانهدهش و كاد يجن وقال ماذا جرى مني فلم يجبه احد على سؤاله واودع السجن لتفسيره

وقد علمت الست المظب بهذه الحكاية وكانت لا تعرف هذا الرجل فاغتازت غيظاً شديداً لكونها كانت سبباً في خراب بيت عائلة بريئة وما كان أحسن شعورها العالي فقامت في الحال وقابلت عمر باشا لطفى وقالت له ما سبب غضبك على مأمور ضبطية البندر حتى دعت الحالة الى تقيمه فانكر منها الحقيقة وقال لها هذا رجل جاسوس ضد الحكومة . فقالت له بجرأة يا باشا انت غير صادق في قولك وأنا عرفت السبب الحقيقي الذي دعاك لهذا العمل الشنيع أنجرد من العدل والانصاف وأنا أو كذا ان ما وصلك من التهم ضد هذا الرجل كذب في كذب وهو بريء منه وأنا ضميري لا يحتمل خراب بيت هذا الرجل من طريقي

ولما كان الرجل صار تفسيره وعمر باشا لطفى كان ضعيف الارادة

أمام معشوقته لا يحتمل دلالها فتألت له إما قطع العلائق يديننا ولا أراك
مأدمت على قيد الحياة وإما عودة الرجل في الحال وما كان الباشا المومما إليه ليس
في استطاعته احتمال غضب معشوقته أرسل تنغرافا في الحال إلى الجناب الخديوي
قال فيه : انه من التحريات الدقيقة التي أجراها قد ظهرت براءة الرجل
مما عزي إليه ويلتمس من المراحم الخديوية العفو عنه والافز بعودته
فبشرت الارادة السنية بالعفو عنه وعودته ولكن ليس بوظيفته بل يلتزم بيته
خارجا عن خدمة الحكومة ما دامت حامت حوله هذه الشبهات. هذه نادرة
من نوادر حكم العصر القديم والفضل في خلاص هذا الرجل يعزى الى
الاحساسات الشريفة التي أبدتها البت المظرحمها الله رحمة واسعة



عصابات اللصوص

واتذكر من حوادث اللصوص حادثة اسردها على سبيل الفكاهة ، وهي انه انتشرت في وقت من الاوقات عصابات اللصوص بالاقليم القبلي وقد ساعدها على ذلك وجود زراعات القصب والاذرة ، وكان من بين هذه العصابات منصر كبير اتخذ مقراً له زراعة قصب بجوار بندر المنيا على مقربة من طريق عمومية واستخدم بعض الجواسيس لاعطائه اخبار المارين بهذا الطريق ، فيختارون من بينهم الاغنياء وحاملي البضائع وكل من يتوسمون معه غنيمة لهم . فينقض اللصوص عليهم ويسلبونهم ما يملكونه بعد ان يوسعوهم ضرباً — وكنت اذ ذاك موظفاً بوظيفة وكيل الدائرة السنية بأوجه القبلى ، وكانت أعمال الدائرة السنية تشمل كثيراً من اختصاصات البلاد في ذاك الوقت ، فحضر لدي جمع كبير من عمد وأعيان البلاد وشكوا لي فتدان الامن العام من هذه الجهة ، وأن الجمهور أصبح مهدداً بالخطر من وجود هذه العصابة المساحة تخابرت وقتها مدير المنيا (المرحوم خليل باشا غمت) وبلغته ما بلغني من هذا الموضوع بواسطة العمدة والأعيان وطلبت منه عمل الاحتياطات اللازمة لضبط هذه العصابة الشريرة وراحة الناس من شرورها ، فاجابني بخطاب رسمي قائلاً . ان شكاي العمدة والأعيان من وجود عصابة لصوص تعبت في الارض فساداً لا حقيقة لها وانه مجرد وهم : وعند وصول هذا الرد لدي تصادف ان هذه العصابة قضت

على ارواح بعض التجار المارين فاندعشت من جواب المدير ورأيت انه لا بد من ابلاغ الحالة للمعية السنية ولوزير الداخلية ، وكانت اذ ذاك عبد القادر باشا حامي وواقفته على المخاطبات التي دارت بيني وبين المدير وافت نظره لصورة استئصال هذا المنصر الذي أخل بالامن العام خذلاً كبيراً - فاهتم بالمسألة اهتماماً شديداً وحضر بالذات للمنيا وظهر له من التترييات ان المدير مهمل اهمالاً تاماً في واجباته . وحامت حوله شبهات كثيرة حتى قيل ان له صلماً مع المنصوص - وقد تحصل الوزير على امر عال بناء على قرار مجلس الوزراء بعزل هذا المدير ثم اهتم بمبحث مسألة المنصوص للوصول الى القبض عليهم فبينما التترييات كانت تعمل لهذا الغرض علم بذلك المنصوص فرسأوا زعيمهم مرتدياً رداء شحاذ متوكئاً على عصاه ودار حول القائمين بعمل هذه التترييات ليسترق منهم الحديث ويقول حسنة لله يا أسيادي - ففرزع فيه أحد الكتبة قائلاً له نحن في هذا والا في هذا - فالرجل الذي كان متواضعاً متمسكناً زجر كالاسد الكاسر وشتم الكاتب بحدة يشتم منها كأنه ذوقوة كبرى وسلطة عظمى ، وكنت اذ ذاك انا الاحظ هذه الحركة عن قرب . فداخلى الشك من أن هذا الشحاذ جاسوس المنصوص وهو منهم . وأخبرت بذلك وزير الداخلية ووقت له يجب التشديد على هذا الرجل حتى نقف على الحقيقة فقال لي الوزير اعمل كل ما يترأى لك عمله فمرت في الحال بجهد الشحاذ المتنكر الذي قل لي في أثناء الجدل ارحمني وانا اصرح لك بكل شيء فأمرت بوقف الجدل فاعترف بانه شيخ المنصروان المنصر مؤلف من أربعين لصاً من جهة نواح

وان اكثر المنهوبات والمسروقات التي استولوا عليها موجودة تحت كيما
البلاد وإنه يمكن استحضارها - وبينما كان يعترف ويصرح بهذا كان
بجوارى كاتب يدون الاعترافات وبعد ان أقربما أقر ختم على المحضر
بختمه وقدمت هذا المحضر لوزير الداخلية الذي كان سروره عظيماً جداً
لاكتشاف هذه العصابة وأمر باستحضار كل المسروقات كما أمر باستحضار
جميع المصوص وحول المسألة على النيابة والقضاء لتأخذ مجراها الطبيعي
وكانت هذه الحركة خاتمة أعمال هذه الفئة الشريرة التي قضى وجودها زمناً
طويلاً على الأمن العام . وبعد ذلك عم السلام وأطمأن الاهالى على
أرواحهم وأموالهم .

هذه هي إحدى نواذر ذاك الزمان

ويوجد نواذر من هذا القبيل لم نستحسن نشرها لأن فيها مساساً
ببعض رجال القوم فمن باب المياقة صرفنا نظراً عن ذكرها





حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا
رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والمالية

دولة صدقي باشا

خاتمة المذكرات

قد دوننا ما بقي في ذاكرتنا من الحوادث التي حصلت في عهد سمو الخديوى عباس ، كما ذكرنا اسماء الوزراء والحكام البارزين الذين كانوا يشرفون على المصالح في عهده وعهد أبيه وبيننا مجهودات كل منهم وقد اكتفيننا الآن بذكر ما تقدم وجعلنا نهاية مذكراتنا لنهاية حكم سمو الخديوى عباس ، وان شاء الله سنعود لتدوين ما حصل في عهد السلطان حسين وعهد جلالة الملك فؤاد الاول في فرصة أخرى لان الأعمال الجليلة التي قام ويقوم بها جلالة مولانا الملك المعظم تحتاج الى مجلد ضخم قائم بنفسه قصدت بهذا تمجيد من لهم اعمال عظيمة في خدمة الوطن وذكركم محاسنهم حتى ينسج على منوالهم من يريد خدمة المصلحة العامة وبهذه المناسبة يحلو لي ان اذكر هنا بطريقة اجمالية ان حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة الحاضرة له ما أثر جليلة في خدمة الوطن العزيز حيث في عهده المبارك أنشئت تسليف الزراعي الذي قام بأجل الخدم للبلاد وخدمته في كل ما يخصها من شأنه أيضاً البعث العقاري الذي لا تخفى منافعه لمصلحة المزارع وبمسعاد أوقف البيوع الجيرية للاطيان وبمسعاد أيضاً مع بنوك العقارية لتأجيل أقساط الديون المطلوبة لها مدة ثلاث سنين طبقاً للاتماس المرقوع منها لدولته كما

أنه أصدر أمره بتفسيط سداد المطالب المحكومة من السلف الزراعية على خمسة سنوات وسعى لتعزيز أمان الحاصلات الزراعية والمصنوعات الوطنية بواسطة التعريفة الجمركية مما أدى لتحسين الضائقة المالية تحسناً عظيماً. وهو الذي بحكمته وفطنته توصل إلى توازن الميزانية دخلاً وخرجاً بدون أن يمس احتياطي الدولة مما يقابله الجمهور بمزيد الشكر والاعتراف بالجميل وهو كما قلنا علم منير ذي فن الاقتصاد وحسن الإدارة بعيد النظر دمث الاخلاق سياسي عظيم جداً مشهود له بطول الباع في كل امر تولاّه وهو الذي يدير دفعة البلاد الآن ، كثير النشاط كبير الذكاء وخطيب مفوه بآرك الله فيه وأكثر من أمثاله

وكل أعماله التي قام بها لمصلحة الوطن تنطبق على رغبات حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المحبوب ادام الله عزه وتأييده وافر عينيه بسمو ولي عهده وسائر أنجاله الكرام

